جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مزاعم مارون عبود حول العرب وشعرهم في كتاب «الرؤوس» دراسة تحليلية نقدية

إعداد
د/ أحمد عبد اللطيف أحمد عبد الرازق
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مزاعم مارون عبود حول العرب وشعرهم في كتاب «الرؤوس» دراسة تحليلية نقدية

أحمد عبد اللطيف أحمد عبد الرازق
قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا . جامعة الأزهر . جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني : Ahmedabdelrazek441.el@azhar.edu.eg

الملخص:
تناول هذا البحث مزاعم مارون عبود في كتابه «الرؤوس» حول العرب وعاداتهم وطبيعة حياتهم، وتقاليدهم وطرق معيشتهم بأسلوب سفساف متجاوزًا الحق والانصاف في بعض المواطن- محل الدراسة- ومن ثم جاءت الدراسة تحت عنوان « مزاعم مارون عبود حول العرب وشعرهم في كتاب «الرؤوس» دراسة تحليلية نقدية» لذلك فهذا البحث يقف مع هذه المزاعم، عارضًا، ومحللاً، وناقدًا، في مزاعمه حول طبيعة الحياة البدوية...، وأيضًا مزاعمه حول المرأة العربية... ، وكذلك مزاعمه حول الشعر العربي...، ومن ثم قصدت الدراسة إلى بيان مكانة العرب على غيرهم من الأمم في الأخلاق والعادات والثقافات، وفي الفصاحة والبلاغة...، وبديهي أن يكون بينهم غير ذلك فهي طبيعة الكون، وليس الكل كما يزعم مارون عبود في المواضع التي تم ذكرها، وأن مجمل آراؤه لا تصدر عن رؤية علمية راشدة تستهدي بالبحث ومناهجه القويمة، وتأخذ بأسباب التحقق والنظر المتأني، بل إن جلها يصدر عن هوى، وتخبط عشوائي، فالحقائق الموجودة في كتب الأدباء والنقاد ودواوين الشعراء تثبت غير ذلك .... وغير ذلك من النتائج.

الكلمات المفتاحية: العرب، مزاعم، مارون عبود، الرؤوس

Maroun Abboud's claims about Arabs and their poetry in the book "Heads", a critical analytical study

Ahmed Abdel-latif Ahmed Abdel-razik
Department of Arabic Language in Girga, Al Azhar University, Egypt
Email: Ahmedabdelrazek441.el@azhar.edu.eg

Abstract:
This research dealt with Maroun Abboud's claims in his book "Heads" about the Arabs, their customs, the nature of their lives, their traditions, and their ways of living in a sarcastic manner, bypassing right and fairness in some citizens - the subject of the study - and then the study came under the title "Maroun Abboud's claims about the Arabs and their poetry in the book "Heads." Critical Analytical Study » Therefore, this research stands with these claims, presenting, analyzing, and criticizing, in its claims about the nature of Bedouin life..., and also its claims about Arab women..., as well as its claims about Arab poetry..., and then I intended to study To clarify the position of the Arabs over other nations in morals, customs, and cultures, and in eloquence and eloquence..., and it is obvious that there is something different among them, as it is the nature of the universe, and not everyone is as Maroun Abboud claims in the places mentioned, and his overall opinions do not arise from a scientific vision. Rashida is guided by research and its sound methods, and takes the means of verification and careful consideration. In fact, most of it comes from whims and random confusion. The facts found in the books of writers, critics, and poetry collections prove otherwise... and other results

Keywords: Arabs, allegations, Maroun Abboud, head

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، وأصلي وأسلم على خير البرية، وهادي البشرية سيدنا محمد(ﷺ) أفصح العرب لسانًا وأبلغهم بيانًا، وعلى آله وأصحابه الذين عكفوا على آدابه، فكانت منهم وبهم خير أمة أخرجت للناس. **وبعد :**

لا شك أنَّ العرب جيل من الناس لهم علامة بارزة بين الأمم في الكلام والفصاحة، والبلاغة ، متقدمين في الفضائل والمآثر على سائر الأجناس، فـ الله – تعالى– شرفهم برسوله(ﷺ)، وفضلهم بتنزيله، فهم أمراء الكلام، ومعادن العلوم والأحكام، وأهل الشيمة، والحياء، والكرم، والوفاء، والمروءة والسخاء، أحكمتهم التجارب، وأدبتهم الحكمة فقضوا منها المآرب، ذلت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال، وشغفوه بحسن الفعال، ولبسوا من المجد ثوبًا سندسي الطراز، يغسلون من العار وجوهًا مسودة، ويفتحون من الرأي أبوابًا منسدّة، كأن الفهم منهم ذو أذنين، والجواب ذو لسانين،[1] .

ويشير الجاحظ الى مقومات وحدة العرب القومية وهي التربية واللغة والأخلاق والنسب في قوله: « العرب كلهم شيء واحد، لأن الدار والجزيرة واحدة، والأخلاق والشيم واحدة، واللغة واحدة، وبينهم من التصاهر والتشابك، والاتفاق في الأخلاق وفي الأعراق، ومن جهة الخؤولة المردّدة والعمومة المشتبكة، ثم المناسبة التي بُنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء، فهم في ذلك بذلك

(١) ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي ص ٥ وما بعدها، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه/ محمد بهجة الأثري– دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون

شيء واحد في الطبيعة واللغة، والهمة والشمائل، والمرعى والراية، والصناعة والشهوة » [١] ولما كان للعرب هذه المكانة والقدر فلا يصح أنْ نحكم أو نزعم عليهم بدون دليل يؤيد هذا الحكم والزعم، كما فعل مارون عبود في كتابه «الرؤوس»، حيث تناول فيه العرب، وعاداتهم، وتقاليدهم، وطرق معيشتهم بأسلوب سفساف، تجاوز الحق والإنصاف بغرض تشويه الحقائق استجابة لنزعة طائفية ممقوتة كما قال بعض النقاد[٢]

وفي مؤلفاته الكثير من تشويه الحقائق ومن شواهد ذلك ما ذكره محمد كامل العجلان عن كتابه « زوبعة الزهور» حيث قال: المؤلف جرئ كثير التحامل والشطط[٣]، وذكر عبدالله الطيب المجذوب في كتابه « المرشد إلي فهم أشعار العرب» بعض مزاعمه عن شعر الأعشى في كتابه«مجددون ومجترون»[٤]، وكذلك تشويهه لطبيعة القرآن الكريم، وبعض الخصائص الموضوعية فيه، وحول علاقته بالأدب العربي في كتابه «أدب العرب» [٥]

(١) ينظر : البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٩٥، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ

(٢) راجع: مجلة الرسالة مقال « الأدب والفن في أسبوع » عباس خضر ص ١٤٨، العدد (٧٠٩) الصادر بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٩٤٧م.

(٣) راجع: مجلة الرسالة مقال « زوبعة الدهور: تأليف مارون عبود» ص ٧٤٢، العدد (٦٢٧) الصادر بتاريخ ٩ يوليو سنة ١٩٤٥م.

(٤) راجع: المرشد إلي فهم أشعار العرب، تأليف عبدالله الطيب المجذوب ج١ ص ٣٩١، دار الآثار الإسلامية– وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م

(٥) راجع: بحث بعنوان« مزاعم مارون عبود حول القرآن الكريم في كتاب أدب العرب دراسة تحليلية نقدية » للدكتور/ الحسن عبداللطيف اللاوي حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الأول من إصدار يونيه سنة ٢٠٢٤م.

ولا يخفى أنه في كتابه «الرؤوس» اتسم بالموضوعية في بعض المواطن حول طبيعة العرب وآدابهم، إلا أنه ألقى بجانب هذه المواطن ببعض المزاعم، وتحامل علي العرب والعربية وآدابها تحاملًا شديدًا، ولم أقف على دراسة تناولت هذه المزاعم التي أوردها في كتابه «الرؤوس» ولذلك فهذا البحث يقف مع هذه المزاعم، عارضًا، ومحللًا، وناقدًا، في عناية وحيادية تامة بالتعليق على كل زعم بالدليل لكل قول، ولهذه الأسباب اخترت الموضوع.

وأما عن منهج الدراسة فهو كـ التالي:

- وقفت على كل زعم من مزاعم مارون عبود حول العرب وأشعارهم.
- عرضه والقيام بتحليله تحليلًا يتسم بالدقة والتروي من الناحية الموضوعية.
- ناقشته في كلامه، واعترضت عليه في مواطن كثيرة ؛ لأنه كان يصدر أحكاما عامة لا تتفق مع طبيعة العرب وشعرهم.
- رَدَدْتُ عليه بالأدلة التي تعضد وتؤكد هذا التصويب أو التقويم من خلال كتب الأدباء والنقاد ودواوين الشعراء...
- خَرَّجتُ الأبيات الشعرية والنصوص التي نقلها من الدواوين والكتب.

الدراسات السابقة:

تناول الكثير من الباحثين والنقاد[١] كتب مارون عبود، بالنقد والتحليل ولا أعلم أحدًا تناول هذه الفكرة في هذا الكتاب «الرؤوس».

---

(١) مثل: التجربة النقدية عند مارون عبود– دراسة نقدية تحليلية، أطروحة دكتوراه/ مبروك حسين– كلية اللغة العربية والفنون– جامعة باتنة، الجزائر ، والتناص القرآني في الخطاب النقدي لمارون عبود، مجلة العلوم الإنسانية– المجلد ٣٢عدد ١ سنة ٢٠٢١م، والمقالة عند مارون عبود دراسة تحليلية للباحث بسام خلف سليمان ، بحث بمجلة التربية والعلم، جامعة الموصل – كلية التربية ، المجلد ١٤، العدد٤ لسنة ٢٠٠٧م، ومارون عبود: ناقدًا شعريًا ، للباحث أحمد عزيز الحسين، الموقف الأدبي الناشر: اتحاد الكتاب العربي، =

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، على النحو التالي:

- المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج، وخطة الدراسة.
- التمهيد: ويشتمل على شقين:

أ . الشق الأول: العرب .

ب . الشق الثاني: مارون عبود في سطور.

- **المبحث الأول:** مزاعم مارون عبود حول طبيعة الحياة البدوية .
- **المبحث الثاني:** مزاعم مارون عبود حول المرأة العربية.
- **المبحث الثالث:** مزاعم مارون عبود حول الشعر العربي.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة، ثم التوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

=

المجلد /العدد ١٢٧ لسنة ١٩٨١م ....وغير ذلك من الموضوعات.

التمهيد: ويشتمل على شقين

الشق الأول: العرب

لفظ العرب[١] يطلق عامة علي البدو وعلى الحضر، ولا فرق بين طائفة من الطائفتين، ولا بين بلد وبلد، وهو بمعنى جنسية وقومية وعلم على رسٍّ له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر، واللفظة بهذا المعنى وبهذا الشكل، مصطلح يرجع إلي ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي تأريخيًا إلي ما قبل الميلاد، بل لا يرتقي عن الإسلام إلي عهد جدّ بعيد، فأنت إذا رجعت إلي القرآن الكريم، وإلي حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وجدت للفظة مدلولًا يختلف عن مدلولها في النصوص الجاهلية التي عثر عليها حتى الآن، أو في التوراة والإنجيل والتلمود وبقية كتب اليهود والنصارى، وما بقي من مؤلفات يونانية ولاتينية تعود إلي ما قبل الإسلام، فهي في هذه أعراب أهل وبر، أي طائفة خاصة من العرب، أما القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وفي الشعر المعاصر للرسول، فإنها علَم على الطائفتين واسم للسان الذي نزل به القرآن الكريم، ولسان أهل الحضر ولسان أهل الوبر على حد سواء[٢] قال تعالى﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴾ [٣] وقال أيضًا ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ

---

(١) لذلك سموا بهذا الاسم، لاشتقاقه من الإبانة، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه. ينظر: لسان العرب لابن منظور ج١ ص٥٨٨، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على ج١ ص ١٣ وما بعدها، جامعة بغداد، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) سورة النحل آية ١٠٣

ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا، فإنهم عرب لحمًا ودمًا، ولدوا ونشأوا بلاد العرب، لم يردوا من الخارج، ولم يكونوا طارئين عليها من أمة غربية، فهم إذن عرب مثل غيرهم، وكل لغات العرب هي لغات عربية، وإن اختلفت وتباينت، وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلا لغة واحدة من تلك اللغات، وميزت عن غيرها، واكتسبت شرف التقدم والتصدر بفضل الإسلام، وبفضل نزول الكتاب بها(٢)

واعتاد بعض الناس ومن بينهم مارون عبود أن يذهبوا إلي أن العرب كانت تغلب عليهم البداوة، وأنهم كانوا قد تخلفوا عمن حولهم في الحضارة، فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحّل، في جهل وغفلة، لم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي، ولم يكن للعالم الخارجي اتصال بهم، أميون، ليس لهم تاريخ حافل(٣) ، لذلك ركز في كلامه على كلمة الجاهلي وكأنها وصف لهم بالجهل، وعدم الفهم والإدراك، وسرعة الطيش، وحب النفس....، وغير ذلك من الصفات التي أراد مارون عبود أن يقلل بها من قيمة العرب ومكانتهم، والطعن في أشعارهم وهذا ما سيتضح من خلال هذا البحث.

(١) سورة فصلت آية ٤٤

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على ج١ ص ٣٣

(٣) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على ج١ ص ٣٧

الشق الثاني: مارون عبود في سطور.

مارون بن عبود: أديب لبناني نقادة عنيف، كثير التصانيف، من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق. ولد بقرية " عين كفاع " بلبنان عام ١٨٨٦. في بيت غني بتراثه الديني، تعلم في مدرسة بجلة، ومنها إلي مارسين، ثم النصر" بكفيفان " وأيضا مدرسة مار يوحنا، ثم تخرج بمدرسة " الحكمة " في بيروت، ثم امتهن التعليم مدة أربعين عامًا، قضى معظمها في الجامعة الوطنية بعالية، كما درس في كلية القديس يوسف اليسوعية، واشتغل بالتحرير في جريدة الروضة الأسبوعية، وأصدر جريدة الحكمة، وفي عام ١٩١٤م انصرف إلي الزراعة وترك التدريس، ليعود مرة أخرى إلي التدريس عام ١٩٢٢م بالجامعة الوطنية بعالية(١).

وعرف بـ أبي محمد، كما سمى ابنته فاطمة، وقال على سبيل النكتة: سميت ابني محمدا، نكاية بوالدي الّذي سماني مارون. ومن كتبه المطبوعة " جدد وقدماء " و " مجددون ومجترون " و " سبل ومناهج " و " دمقس وأرجوان " و " في المختبر " تحليل ونقد الآثار الكتاب المعاصرين " و " قبل أن يثور البركان " و " على المحكّ " و " نقدات عابر " و " على الطائر " و " زوابع " و"أدب العرب" ثم " مناوشات " وهو مجموعة من مقالاته ... وغير ذلك من الكتب، توفي عام ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٢ م (٢)

(١) ينظر: الأعلام للزركلي ج٥ ص ٢٥٣، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، وينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي/ حنا الفاخوري ص٣٢٥، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي ج٥ ص ٢٥٣.

المبحث الأول: مزاعم مارون عبود حول طبيعة الحياة العربية.

طبيعة الحياة العربية لا تعتمد على التاريخ وحده، بل تعتمد – أيضًا– على الشعر، حيث صور هذه الحياة بكل صورها متناولًا جوانب عدة أهملها التاريخ، وهذه الطبيعة من الناحية التاريخية والشعرية تناولها النقاد بالتحليل والنقد بين مؤيد ومعارض وزاعم...، ومارون عبود ممن تعددت مزاعمه حول هذه الطبيعة، وهي كالآتي:

١– زعمه حول عرب الجاهلية وطبيعة اعتقادهم، ونظرتهم للحياة والموت وذلك من خلال بعض أبيات طَرَفَة بن العبد، والذي يرى فيها أنها صورة لحياة السيد الجاهلي بصفة عامة.

يقول « حدد لنا طرفة، قاصدًا، أو غير قاصد، غاية الحياة العربية البدوية بقوله [(١)] من الطويل

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنّ من عيشَة الفَتى ∴ وَجَدِّكَ لـــم أحفِلْ متى قـــامَ عُوّدي
فَمِنْـهُـنَّ سَبْقِي العَـــاذِلاتِ بشَرْبةٍ ∴ كُميـتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزْبِدِ
وَكَـــرّي إذا نـــادى الْمُضـــافُ مُحَنَّبًا ∴ كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ الْمُتَوَرِّدِ

هذه صورة(السيد) الجاهلي، فهو يرى أن الحياة تنتهي عند باب القبر، وأن الموت نهاية كل حي:

فإنْ كنتَ لا تَسْطيعُ دَفْعَ مَنيّتي ∴ فَدَعني أبادِرْها بما مَلَكَتْ يدي» [(٢)]

قبل مناقشة زعم مارون عبود حول طبيعة الحياة البدوية من خلال هذه الأبيات، لابْد لنا أن نعرف الجو العام أو مناسبة القصيدة التي من ضمنها هذه الأبيات فقد قيل أنه« عندما أنفق طَرَفَة ماله، في اللهو على أصحابه حتى لم

(١) ديوان طرفة بن العبد ص وما بعدها ٣٣، اعتنى به/ عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) الرؤوس، مارون عبود ص٨ ، منشورات دار المكشوف ١٩٤٦م

يبق معه شيء، سخطت عليه عشيرته ونبذته، فترك أهله غاضبًا وراح يطوف في أحياء العرب، حتى مَلَّ حياة التشرد، فعاد نادمًا إلى أهله، فحمله أخوه معبد على رعاية إبله، فكان يهملها، ولم يطل الأمر حتى أُخذت ، فسأل ابن عمه مالكًا أن يعينه في طلبها، فلامه وقال له فرطت فيها ثم أقبلت تتعب في طلبها، فأنشد هذه القصيدة»[١] وكان من ضمنها هذه الأبيات بعد أن ضاق به الحال وكره الدنيا، مخاطبًا إياه بأن كنت لا يسعك دفع المنية عني فلا تلمني على اتباع هواي في إنفاق مالي ودعني أُبادر المنية بإنفاق ما ملكت يدي قبل حلوله[٢]، فلا معنى للبخل بالمال وترك اللذات وامتناع الذوق [٣].

وعليه فلا يصح ربط حالة طَرَفَة وظروفه الخاصة، بحالة مجتمع كامل كالمجتمع الجاهلي، ونحكم من خلال أبيات معينة قيلت في ظروف خاصة، أن هذه هي صورة السيد الجاهلي الذي يرى الحياة أنها تنتهي عند القبر، ويريد أن يأكل خيراته في حياته .

مع أن طَرَفَة نفسه في غير هذا الموضع، ينظر إلي الدنيا بمنظار الحياة لا بمنظار الموت، ويناقش لذاتها بالغريزة لا بالعقل، ويستنبط حِكمها من التجربة الحية لا من التصور المتماوت، فهو لم ينكر أن الموت يساوي بين الناس جميعًا، وأن أزهد الناس وأبخلهم قد يدفن في قبر يشبه قبر أكثرهم سرفًا وترفًا،

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٥

(٢) راجع: ديوان طرفة بن العبد البكري ص ٤٦، شرح الأديب يوسف الاعلم الشنتمري، طبع في مدينة شالون علي نهر سَوْن بمطبع برطرند سنة ١٩٠٠م، راجع: شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني ص ١٠٨، دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

(٣) راجع: شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني ص ١٠٨.

وأن الحياة مع مرور الزمن تأكل عمرا حتى تفنيه[١]، حيث يقول في القصيدة نفسها [٢] من الطويل

أَرَى قَبْــرَ نَحَّـامٍ بَخِيْلٍ بِمَالِهِ ∴ كَقَبْرِ غَـوِيٍّ فِي البَطَـالَةِ مُفْسِدِ

أَرَى العيش كنزًا ناقصًا كلَّ ليلةٍ ∴ ومَا تَنْقُصِ الأيّامُ وَالدّهرُ يَنْفَدِ

لكن حكمته التي لابستها الغريزة لم تُمل عليه الزهادة، بل دفعته إلي اغتنام الفرص قبل انقضائها، وإلي اقتطاف ثمار الحياة قبل ذبولها، والاستجابة لملذاتها، فهي كنز تُنقصه الأيام والدهر، فرأى أن يرتوي من الحياة وملذاتها قبل أن ترتوي الأرض من دمه[٣] فقال[٤] من الطويل

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ∴ سَتَعْلَمُ إن مُتْنَا غَدًا أَيّنَا الصّدي

ومن ناحية أخرى نرى من الشعراء من عَمِل على استغلال الحياة، بتأديب نفسه والحث على التقوى، فشاع في شعره روح دينية تحيى الأمل وتخفف من يأس الحياة الذي تقلقه، كعدي بن زيد[٥]، حيث يقول [٦] من الرمل

فَدَعِ الْبَاطِلَ وَاعمِدْ لِلتُّقَى ∴ وتُقَى رَبِّكَ رَهْنٌ لِلرَّشَدْ

---

(١) ينظر: الأدب الجاهلي قضاياه، وأغراضه، وأعلامه، وفنونه د/ غازي طليمات، والأستاذ/ عرفان الأشقر ص ٢١٣، دار الإرشاد بحمص، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٤

(٣) ينظر: الأدب الجاهلي قضاياه، وأغراضه، وأعلامه، فنونه د/ غازي طليمات ص٢١٤

(٤) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٤

(٥) ينظر: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم) بطرس البُستاني ص ٨٢، دار نظير عبود سنة ١٩٨٩م.

(٦) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٤٣، حققه وجمعه/ محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع– بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م

كما أنه لم يسع إلي طلب الملذات كغيره، بل نبّه الغافل ليصلح من أمره قبل أن يسبقه الموت، فقال[١] من الخفيف

أيهَـا النّائِم الْمُغَفــل أبْصِرْ ∴ أن تكون المُضَلَّلَ المَغْـرورا

وَدَعِ النَّفسَ عنْ هَواها حِفاظًا ∴ أنْ تَكُونَ المُبَادَرَ المَبْدورا

فحياة الجاهليين وتفكرهم للحياة وللموت وللمعيشة...،يختلف من شخص لأخر على حسب بيئته وطبعه، ومشاعره وإحساسه، حيث يقول الأستاذ الزيات: «إن لجو الاقليم أثرًا طبيعيًا في حياة أهله، فهو الذي ينهج لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم ويكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم»[٢] إذًا نظرة كل واحد منهم للحياة والموت تختلف على حسب العوامل الناشئة من الواقع الجاهلي، فمنهم من كره الحياة وتمنى الموت كطرفة للأسباب التي ذكرها في أبياته، ومنهم من يرثي نفسه، ومنهم من رثا الأخرين،...[٣].

٢-زعمه أن العربي يغالي جدًا بالتبجح بأصله وفصله، وأن الشعوبيين جاؤوا بأروع مما أنتجه العربي المحض.

يقول:« العربي تياه فخور، وهذا ما يحمله على التبرج والتطوس والتطيب والتجمل، فهو رجل مظاهر، يباهي بكل شيء ويغالي جدًا بالتبجح بأصله وفصله، من هنا جاء العرب التقعر في حوادث تاريخهم وسردها على عوانها دون تمحيص، ومن هنا جاءنا التشبث بعروبتنا حتى أنكرناها على فريق من البشر

(١) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٦٦

(٢) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص٨ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر- الفجالة- القاهرة، بدون.

(٣) راجع: الموت في الشعر الجاهلي د/ حسن أحمد عبد الحميد عبدالسلام، مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٦٣، وما بعدها من صفحات ذكر فيها أبيات عديدة لوجهة نظر كل شاعر للحياة والموت.

فسميناهم شعوبية وإن حذقوا العربية وجاؤوا بأروع مما أنتجه العربي المحض، ... وهذا التشبث بالعروبة كان ويلًا على الدولة واللغة ففرّق العناصر التي وحدها الدين واللسان، فالأجنبي– كما قلت غير مرة– إذا أقام خمس سنوات فقط في الولايات المتحدة حق له أن يصير أميركيًا، بينما المستعرب – عند بعضنا– لا يصير عربيًا حتى يوم القيامة» (١)

فأما عن قوله: " العربي فخور ويغالي جدًا بأصله وفصله" فهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد، فالأمة العربية شرفها الله– سبحانه وتعالى– بمكانة عظيمة وسامية من بين الأمم، ومنها نعمة الإسلام، فقال عز وجل﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴿١١٠﴾ ﴾(٢) كما حق له أن يفخر ويغالي لما يمتلكونه من صفات لم تشاركهم فيها أي أمة من الأمم، حيث ميز الله– تعالي–العرب عن غيرهم بلغة القرآن الكريم، وهذه ميزة واضحة بينها القرآن في قوله﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾(٤)، وأكد الرسول –ﷺ– في أحاديث كثيرة فضل العرب ومكانتهم ومنها قوله: «حُبُّ الْعَرَبِ إِيمَانٌ وَبُغْضُهُمْ نِفَاقٌ» (٥) وفي رواية أخرى قال –ﷺ– «حُبُّ قُرَيْشٍ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، وَحُبُّ

(١) الرؤوس، مارون عبود ص١١، ١٢

(٢) سورة آل عمران أية ١١٠

(٣) سورة الزمر أية ٢٨

(٤) سورة الزخرف أية ٣

(٥) المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ج٤ ص ٩٧، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

الْعَرَبِ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي»(١)

ويسير ابن حيان على نهج من سبقه وعاصريْه في تفضيل العرب على غيرهم فهم « أعقل الأمم، لصحة الفطرة، واعتدال البنية، وصواب الفكر، وذكاء الفهم» (٢) والماوردي يؤكد ذلك بذكر تاريخ الأمم قبل الإسلام مثل الفرس واليونان والروم، ويرى بعد ظهور الإسلام أنه ليست هناك أمة مكتملة الشروط غير الأمة العربية الإسلامية(٣)

وأما قوله: « أن التشبث بالعروبة جعل العرب ينكرون فريقًا من البشر يدعون الشعوبية، جاؤوا بأروع مما أنتجه العربي المحض» إنكار العرب لهؤلاء البشر لارتباطهم بالزندقة التي كانت تمثل سلاحًا من أسلحتها ومظهرًا من مظاهرها، وحقدهم على العرب وكرههم لهم، حيث أثرت هذه الحركة الخطيرة على عدة مجالات في المجتمع العربي الإسلامي، ففي المجال الديني، حاولت إدخال عقائد وأفكار دينية بعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي، مثل فكرة الحلول والاتحاد وعقيدة التناسخ التي كانت ركنًا من أركان الشعوبية، ولغرض الإساءة والتطاول على خاتم الأنبياء والمرسلين فإنهم جاؤوا بفكرة " النبوة المستمرة" التي

(١) المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ج٣ ص ٧٦، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة بدون

(٢) الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، ص ٧، و ص ٧١ ،المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين ، للماوردي ص ٤٨، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ بيروت ١٩٨١م. وينظر: الشعوبية نشأتها وتطورها(دراسة تاريخية) سالم محمد كريم ص٢٤، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ/ ٢٠٠٤م.

مفادها أن النبوة فيض دائم لا ينقطع، ناهيك عن عقيدة التأويل الباطني التي اتخذتها الشعوبية وسيلة من وسائلها للوصول إلي أهدافها الحقيقية.

وفضلًا عن هذا، فإن الشعوبية قامت بتزييف وتحريف الأحاديث النبوية الشريفة، ومحاربة أركان الإسلام التي جاء بها لخلق مجتمع يسوده العدل والإحسان، وقاموا بالعبث بكتب الفقه، وفلسفة الأخلاق الإسلامية، وتشجيع الناس على ارتكاب المحارم وكل ما ينافي الدين الإسلامي. (١)

ولم تكتف الشعوبية بهذا الحد بل قامت بتشويه المثل العليا والقيم الروحية للمجتمع العربي والإسلامي، ودعوا إلي أفكار اجتماعية وخلقية تتعارض مع روح الإسلام، رامية في ذلك إلي تفكيك روابط المجتمع وإضعافه وتحقيق ما تبتغي الوصول إليه.

فحاربت الشعوبية العرب في كل شيء، في قيمهم، وطعنت في أنسابهم وشككت في صحتها، وحاربت العرب في ثقافتهم وفي مثلهم العليا من كرم وحسن وفادة وفروسية، وتقدير للمرأة، حتى إنها سخرت من أساليبهم الخطابية واستخدام الآلات الحربية. (٢)

فما هي الروعة التي جاء بها هؤلاء الشعوبيون، فهم جاؤوا لهدم الدين ودخول معتقدات وعادات غريبة على الإسلام والمسلمين، ولم تكن العروبة سببًا في تفريق العناصر في قوله: « وهذا التشبث بالعروبة كان ويلًا على الدولة واللغة ففرّق العناصر التي وحدها الدين واللسان» ولكن السبب هو فرض أمور لا تُرضِي الله ورسوله، وتشوه مبادئ الدين الإسلامي وإفساد العقيدة، ونشر أفكار منافية للقيم الدينية، والتطاول على الشخصيات الإسلامية والقادة العرب، وقوله:

(١) ينظر: الشعوبية نشأتها وتطورها(دراسة تاريخية) سالم محمد كريم ص ٩، ١٠

(٢) ينظر: الشعوبية نشأتها وتطورها(دراسة تاريخية) سالم محمد كريم ص ١٠

« فالأجنبي– كما قلت غير مرة– إذا أقام خمس سنوات فقط في الولايات المتحدة حق له أن يصير أميركيًا، بينما المستعرب – عند بعضنا– لا يصير عربيًا حتى يوم القيامة» فالتمسك بالعروبة وبمبادئ الإسلام وقيمه ومعتقداته شيء، وأن تصير عربيًا شيئًا آخر، فلا داعي في الخلط بين هذا وذاك.

٣–زعمه أن العربي سطحي، ولم يتقن أعماله:

في قوله:« البدوي لم يتقن عمله ولم يتوخ الغايات البعيدة، فهو سطحي في هذا ... وكذلك هو سطحي في أعماله الأولى، وكل ذلك ناتج عن نشأته الأولى، عن وحدته وانفراده، فكما لا تتقصى أغنامه مراعيها فتقضم وتخصم، تأخذ المتيسر ولا تطالب بالمتعسر، كذلك صاحبها في أعماله حتى بعد حضارته» [١]

قوله هذا عن العربي أو البدوي حكم عام لا يستند على دليل قد يكون هذا عند – البعض– عندهم ولا أدري أي أعمال يقصدها عند البدوي، ورغم ذلك للطبيعة أثر كبير في تحديد الأعمال التي يتقنها أي إنسان، وقد أثرت طبيعة الجزيرة العربية في تحديد الموارد الاقتصادية، فاعتمد سكان المناطق الصحراوية بشكل رئيس على اتقان الرعي المتنقل لأنعامهم ومواشيهم وعلى التجارة ، في حين أتقن سكان المناطق الخصبة الزراعة ولم يهملوا إتقان التجارة ، كما كان عندهم إلمام بإتقان الصناعة[٢] يقول صاحب المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام عن إتقان أهل اليمن في عملهم« فاليمن هي في مقدمة أجزاء جزيرة العرب...، وهي الأولى في الإنتاج.. وهي المكان الوحيد فيها الذي زادت صادراته فيه على وارداته»، ويذكر أيضًا« من الحرف المتداولة بين الجاهليين المتقنة النجارة والحدادة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة،

(١) الرؤوس، مارون عبود ص١٤

(٢) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام د/ محمد سهيل طقوش ص ٣٣، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

والأصباغ والصموغ، وغير ذلك من الصناعات» [١] وهي أعمال تتناسب مع بساطة المجتمع البدوي، ومع درجة بداوته، ولهذا تفاوتت مستويات الصناعة البدوية، بتفاوت مستوى البداوة، وبتفاوت درجة حاجاتها إلي الأشياء[٢] فهذه أدلة تنص على إتقان الجاهليين لِمهَنٍ متعددة تنافي ما ذكره مارون عبود حول عدم إتقان البدو لأعمالهم، ومع ذلك القول الذي – لا يتعارض معه أحد– أن هناك أُناسًا من البدو أتقنوا أعمالًا عديدة، والبعض منهم يرى أن هذه الأعمال تنقص من شرفه، فلا يليق بالعربي أو البدوي الحر أن يكون صانعًا، لأنَّ هذه الأعمال والصناعات وإتقانها للعبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس، بالإضافة إلي أن العربي يرى فيها تقييدًا لحريته وحدًّا لحريته، وقيل إنهم إذا أرادوا تحقير إنسان وسبّه بكلمة تكون مجمع السباب قالوا له يا ابن الصانع، بل إن العدنانيين كانوا يعيرون اليمنيين بأنهم كانوا بين دابغ جلد وناسج برد[٣] ومن أراد المزيد حول إتقان العرب لأعمالهم في أغلب المجالات يراجع كتاب/ واضح الصمد «الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي» به القول الشافي الوافي حول هذه القضية في نشأته الأولى وفي حضارته.

وتشبيه أعمال البدوي بالأغنام في عدم تحريها للمراعي، تشبيه فيه إهانة واحتقار للبدوي فلا يجوز بأي حال من الأحوال وصف أعمالهم بهذه الطريقة المهينة، لأن الواقع التاريخي يؤكد فعلًا إتقانهم لمختلف الأعمال، وتختلف درجة

(١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي ج٧ ص ٥١١.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي ج٧ ص ٥٠٧

(٣) ينظر: معجم البلدان، للحموي ج٥ ص٤٤٨ ، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م، وينظر: الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، واضح الصمد ص ١٥، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

الإتقان من بيئة لأخرى على حسب طبيعة المكان، وعلى ذكائهم في تحويل أعمالهم إلي أشياء يريدونها.

٤- زعمه أن البدوي قليل الصبر ضعيف التفكير سائح دائمًا.

مارون عبود زعم أن البدوي أو العربي قليل الصبر ضعيف التفكير حتى أنه شبهه بالنحلة تأخذ حاجتها من الزهرة وتتركها في قوله:« العربي البدوي سائح دائم، وعن هذا أيضًا نتجت قلة صبره، وضعف تعمقه في التفكير، وارتجاله في كل شيء، فالمبادرة سمة عربية. إن المجد مبتدر وكما يقول جرير[١] إن الإقامة الدائمة في مكان ما تحمل الإنسان علي إطالة التفكير بما حوله، أما المسافر الدائم سليل الشيخ يعرب، فلا ينظر إلا إلي مظاهر الأشياء، ولهذا لا يتعمق في موضوعه، لقد شبهته بالنحلة تأخذ حاجتها من الزهرة وتظل الزهرة زهرة ، لا ينقص شيء من عرفها وجمالها وطراوتها، بينما المفكر " الآري" [٢] يضعها في الأنبيق، لا يبقي إلا خلاصتها، أما عناصر الجمال فيأكلها أكلًا »[٣]

أولًا: قوله: « العربي البدوي سائح دائمًا» ليس كل العرب سواح كما يزعم مارون عبود، نظرًا لاختلاف الموقع الجغرافي للجزيرة العربية، فالقبائل التي تسكن الحجاز وهي مساحات واسعة من الجزيرة العربية مستقرة ولا تتنقل، وذلك

---

(١) اقتبس ذلك من بيت جرير:

خابت بنو تغلب إذ ضل فارطهم ... حوض المكارم إن المجد مبتدر.

ينظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ج١ ص ١٥٣، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه- دار المعارف، القاهرة – مصر- الطبعة: الثالثة بدون.

(٢) الآري: جنس تجمعه بعض الخصائص اللُّغويَّة والجنسيَّة، بعضه في الهند وإيران، وبعضه في أوربا. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر ج١ ص٥٠، عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٣) الرؤوس، مارون عبود ص١٠

لوفرة مياهها وخصوبة أرضها، في حين أن بعض القبائل العربية القريبة من خط الاستواء تتنقل بين الصحاري نظرًا لشدة الحرارة وجفاف الصحراء، فإن مناخها في حرارته وبرودته متطرف، ففيها لهيب يشوي الوجوه، وسموم تلفح الأبدان، ولهذا التطرف الشديد في المناخ أثر كبير في تنقل البدو فقد تهطل الأمطار الغزيرة، فتحدث السيول ثم تعقبها فترة طويلة من الجفاف التام(١)

ولا أعلم ما سبب ربط مارون عبود لتنقل بعض القبائل من أماكنهم للأسباب سالفة الذكر بأن هذا ناتج عن قلة صبرهم، بل العكس فهذا دليل على قوة تَحْمِلِهِمْ للشدائد، وقدرتهم على التنقل والترحال للأماكن التي تصلح فيها المعيشة، والشعر الجاهلي فيه الكثير من الأبيات التي تدل على صبرهم في الكثير من المواقف الحياتية، فهو من أهم صفات الأفراد في المجتمعات ذات التوجّه طويل المدى(٢)، فـ (زهير بن جناب الكلبي) يشيد بقوة صبرهم في موقف يحتاج إلي رجال تتحلى بضبط النفس وهو حربهم مع غطفان، حيث قال(٣) من الوافر

ولولا صبرُنا يـوم التَقْينا ∴ لَقِينَا مِثْل ما لقيتْ صُدَاءُ

غَداة تَعرّضوا لِبَنى بغِيضٍ ∴ وصِدْقُ الطّعن للنَّوْكى شِفاءُ

وفي قصيدة للحصين بن حمام المرّي يندد فيها ببني عمه، بني صرمه بن عوف، وقد عزموا على محاربة قومه، وهو يذكر أنه لما رأى الود معهم ليس

(١) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي د/ نوري حمودي القيسيى ص ١٨ ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٢) ينظر: ثقافة العرب في الجاهلية، مهند محمد عميره ص ٣٠٨، دار المعارف سنة ٢٠١٩م.

(٣) ديوان زهير بن جناب الكلبي د/ محمد شفيق البيطار ص ٥٨، دار صادر بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

بنافع له، وقد صبر عليهم كثيرا، حيث يقول[١] على تحمل صبره عليهم والتحلي به، وعدم التهور والاستعجال في محاربتهم. من الطويل

ولمَّا رَأَيتُ الوُدَّ ليسَ بنافعي ∴ وأن كان يوما ذا كـواكب مُظْلِمَا

صَبَرْنا وكان الصَّبْرُ فينا سَجِيَّةً ∴ بأَسيافِنا يَقْطَعْنَ كَفاً ومِعْصَمَا

ودعا قيس بن زهير العبسي إلي عدم استعجال الأمور، وانتظار النتائج البعيدة، وهذا أساس وجوهر الدرجة العالية من التّوجّه طويل المدى[٢]، حيث يقول[٣] من الوافر

أظُنُّ الحِلمَ دلَّ عليَّ قومي ∴ وقد يُستَجهَلُ الرجلُ الحليمُ

فلا تَغشَى المظَالِمُ أن تَراهُ ∴ يُمتَّعُ بالغِنَى الرجُلُ الظلومُ

ولا تَعجَلْ بأمرِكَ واستَدِمهُ ∴ فما صَلَّى عَصاكَ كمُستديمِ

وعن قوله:« وضعف تعمقه في التفكير، وارتجاله في كل شيء» هوى وتخبط بدون أدلة وشواهد تؤكد هذا الزعم طبقًا لما يقتضيه المنهج العلمي بدلًا من إرسال الزعم على هذا النحو، كما أنه لم يحدد بالضبط العربي أو البدوي الذي يقصده، ولا نقول بأن العرب أو البدو كلهم كانوا على درجة عالية من التفكير ورجاحة العقل ولكن السمة الغالبة عليهم، والتي رصدها الأدباء والنقاد أنهم أصحاب عقلية راجحة وقوة في التفكير وعدم التهور في الأحكام الصادرة منهم، وذلك راجع إلى أن – أغلبهم– يمتازون بطلاقة اللسان، وحضور البديهة، ويكفي أن ننظر إلى ما خلفوه من آداب سواء شعر أو قصص، أو رسائل، أو

(١) ينظر: الحصين بن الحمام المرّي الفارس الشاعر (سيرته وشعره) ص ٨١، جمع وتحقيق د/ شريف علاونة، دار المناهج، الأردن سنة ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: ثقافة العرب في الجاهلية، مهند محمد عميره ص ٣٠٩

(٣) شعر قيس بن زهير عادل جاسم البياق ص ٣٣ ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف سنة ١٩٧٢م.

رحلات، أو تجارب ذاتية... لنعترف بما لديهم من لسان ذلق وبديهة حاضرة، وذكاء في لغتهم، فكثيرًا ما يعتمدون على ألمحة الدالة والإشارة البعيدة، فيفجؤك بحسن الجواب، ولكن ليس ذكاؤه من النوع الحالق المبتكر، فهو يقلب المعنى الواحد على أشكال متعددة، فيبهرك تفننه في القول أكثر مما يبهرك ابتكاره للمعنى، وإن شئت فقل إن لسانهم أمهر من عقلهم[١]

ويقول ابن الاثير عن قدرتهم للمعاني الخطابية «اعلم أن المعاني الخطابية قد حصرت أصولها، وأول من تكلم في ذلك حكماء اليونان، غير أن ذلك الحصر كليّ لا جزئي، ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها، لا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم، ولا يفتقر إليه؛ فإن البدوي البادي راعي الإبل ما كان يمرّ شيء من ذلك بفهمه، ولا يخطر بباله، ومع هذا فإنه كان يأتي بالسحر الحلال إن قال شعرًا أو تكلم نثرًا»[٢]

والقرآن الكريم نفسه احترم عقلية البدوي وتفكيره فجاء في سورة الغاشية بأفكار ووقائع عايشها البدوي في جمل متواصلة ليتأملوا في خلق الله فقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾[٣] التناسب بين الجمل واضح، فقد بدأ حديثه بالإبل التي هي عنصر أساسي في حياة البدوي في

(١) ينظر: فجر الإسلام أحمد أمين ص ٣٧

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) ص٣٠١ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ١٤٢٠ هـ

(٣) سورة الغاشية آية ١٧ إلي ٢١

صحرائه، وانتقل من الإبل إلى ما يرونه أمامهم في كل حين من سماء رفعت بلا عمد، وللسماء عند البدوي مكانة خاصة يتجه إليها ببصره يستنزل منها الغيث ويهتدي بنجومها في سراه بالليل، فإذا هبط ببصره قليلًا رأى هذه الجبال الشامخة منصوبة تناطح السماء بقممها، وترسو في ثبات واطمئنان على أرض مهدت له، وسطحت أمامه أو لا نرى أن تنقل البصر بين هذه المخلوقات تنقل هادئ طبيعي لا قفز فيه، وأن ارتباط بعضها ببعض في طبيعة البدوي مهد للربط بينهما وعطف بعضها على بعض. (١)

وها هو القاضي عياض يبين مكانة العرب في الفصاحة والكلام فيقول: «فالبدوي أو العرب كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام؛ فقد خُصّوا من البلاغة والحكم بما لم يُخصّ به غيرهم من الأمم، وأوتوا من حذق اللسان ما لم يُؤتَ إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيّد الألباب، وجعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة، وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب،...، ومنهم البدويّ ذو اللفظ الجَزْل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري، والمنزع القويّ، ومنهم الحضريّ ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطَّبع السَّهل، والتصرّف في القول القليل الكلفة، الكثير الرَّونق، الرَّقيق الحاشية ... ولهم في البلاغة الحجّة البالغة، والقوّة الدامغة، والسهم الفائز، والطريق السالك، لا يشُكُّون أن الكلام طوْع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حوَوْا فنونها واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعَلَوْا صرحا لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطير والمهين، وتفنّنوا في الغثّ والسمين، وتقاولوا في القلّ والكُثر، وتساجلوا في النظم والنثر ... » (٢)

(١) ينظر : من بلاغة القرآن/ أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) ص ١٣٥، نهضه مصر – القاهرة سنة ٢٠٠٥

(٢) القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري ص ١٧، ١٨، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م

وعن قوله: « فالمبادرة سمة عربية. إن المجد مبتدر» في مواقف معينة وليست في كل المواقف، فالعربي سريع المبادرة والانفعال إذا كان الأمر يتعلق بكرامته وأهله وقبيلته... أو أي شيء أخر يعكر صفوه، ويجعله كالوحش الكاسر، يمثل نفسيته قول سعد بن ناشب[١] من الطويل

إِذَا هَـمَّ لم تُرْدَع عَزِيْـمَةُ هَمّـِهِ ∴ وَلَمْ يَـأتِ مَا يَأتِي مِنَ الأَمْـرِ هَائِبَا

إِذَا هَـمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ∴ وَنَكَّـبَ عَنْ ذِكْـرِ العَـوَاقِبِ جَـانِبَا

وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأيِهِ غيْرَ نَفْسِهِ ∴ وَلَـمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

فالأبيات فيها عزم ومبادرة من الشاعر على بعض الأمور التي تحتاج إلي أن يتبع هواه ولا يفكر في العواقب التي تحدث من طيشه وانفعاله، ولا ينطبق ذلك على كل العرب أو البدو، نظرًا لاختلاف طبائعهم وعاداتهم ومجتمعاتهم المختلفة، لذلك وجد بجانب المبادرة والطيش « الحِلم» عند بعضهم فلا يُقْدِمونَ على شيء إلا بعد تأمل طويل، ومطالعة جيدة وتحرى في القول، والفعل في الأمور التي تحتاج إلى ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة في قصائدهم يفخرون بالتروي والحلم، وعدم الاستعجال في الأمور، فها هو خلف بن خليفة يمدح قومًا من العرب بالحلم، فقال[٢] من الطويل

عَلَيْهِم وقار الْحِلم حَتَّى كَأَنَّمَا ∴ وليدهم من أجل هيبته كهل

وفي إحدى مراثي المهلهل لأخيه كليب يعدد مناقبه أنه حليم وعفو مع قدرته على العقاب والانتقام، فيقول[٣] من الوافر

---

(١) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ج٢ ص ٦٨٥، دار الحديث، القاهرة، سنة: ١٤٢٣ هـ. لم أقف له على ديوان

(٢) شعر خلف بن خليفة ص ١٦، د/ خليل محمد عبدالعال– منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٨م.

(٣) ديوان مهلهل بن ربيعة ص٣٢ ، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية بدون

وإنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ ∴ وتَعْفُو عَنْهُمُ ولَكَ اقْتِدَارُ

وتَمْنَعُ أنَّ يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ ∴ مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

وغير ذلك من الأبيات[1] التي تبين حلمهم وعدم الاستعجال وسرعة الغضب والطيش... إذاً اقتبس قول جرير« إن المجد مبتدر» اقتبس فيه مبالغة وعدم ترو في الحكم على مجتمع له طبع وخليقة تختلف عن غيره.

ثم يأتي قوله: « إن الإقامة الدائمة في مكان ما تحمل الإنسان على إطالة التفكير بما حوله... » مُوحِيًا على أن العرب أمة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أي اتصال، ولا تتصل بمن حولها في مادة، ولا تقتبس منهم أدبًا ولا تهذيبًا، فقد رد الأستاذ أحمد أمين على ذلك بقوله: « الحق أن هذه الفكرة خاطئة، وأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم ماديًا وأدبيًا، وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة لذلك العهد، نظرًا لموقعها الجغرافي ولحالتها الاجتماعية وهذا الاتصال بين العرب وغيرهم كان من عدة طرق أهمها التجارة، وإنشاء المدن المتاخمة لفارس والروم، والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب، وتدعو إلي دينها وتنشر تعاليمها»[2]

والقرآن يحدثنا بأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم، بل كانوا على اتصال قوي، قسمهم أحزابًا، وفرقهم شيعًا. أليس القرآن يحدثنا عن الروم وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسم فيها العرب إلى حزبين مختلفين: حزب يشايع أولئك، وحزب يناصر هؤلاء؟ أليس في القرآن سورة تسمى

(١) راجع: الحياة العربية من الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفي ص ٢٧٣ ، وراجع: مجلة المورد مقال بعنوان(الحلم في الشعر الجاهلي) د/ عبد الرازق خليفة محمود الدليمي ص ٣إلي ١٥، العدد رقم (٤-٣) العراق ١ يوليو ٢٠٠٤م

(٢) فجر الإسلام، أحمد أمين ص١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م.

"سورة الروم" تبتدئ بهذه الآيات ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [١] لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلي منعزلين، فأنت ترى أن القرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس والروم، وهو وصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم في السورة المعروفة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [٢] وكانت إحدى الرحلتين إلى الشام حيث الروم، والأخرى إلى اليمن حيث الحبشة، والفرس، والحق أنَّ الأدب الجاهلي لا يصور العرب في الجاهلية منعزلين عمن سواهم من الأمم، وبخاصة من كانوا يجاورونهم، كالروم والفرس والحبشة، من ذلك ما يقوله: أبو الصلت يمدح أهل فارس حين قتلوا الحبشة، في كلمة قال فيها: [٣] من البسيط

لله دَرُّهُمْ من عُصبةٍ خَرَجُوا ∴ ما إنْ أرى لهُمُ في النّاسِ أمْثالا
بِيضا مَرازبة غُلْبًا أَسَاورةً ∴ أُسْدًا تُرَبِّبُ في الغَيْضاتِ أَشْبالا
لا يَضْجَرون وإنْ حُرَّتْ مَغَافِرُهُم ∴ ولا تَرى منْهُمُ في الطَّعْنِ مَيَّالا
أرْسَلْتَ أُسْدًا على سُودِ الكِلابِ فَقَدْ ∴ أَضْحى شَرِيدُهُمُ في الأرْضِ فُلّالا
فاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ∴ في رَأْسِ غُمْدَانَ دارًا مِنْكَ مِحلالا

فهذا يدل دلالة قاطعة على صلة العرب الجاهليين بغيرهم من الأمم، فما كان للعرب أن يعيشوا في عزلة تامة، ولا بد أن يظهر أثر هذا الاتصال في لغة

(١) سورة الروم آية ١– ٦
(٢) سورة قريش آية ١– ٢
(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، جمع وتحقيق ودراسة د/ عبد الحفيظ السطلي، درة الغواص دمشق سنة ١٩٧٤م.

العرب الجاهليين وأدبهم. ولا يمكن أن يتجاهل دارسو الأدب الجاهلي هذا الأثر، فيعتقدوا « أن العرب كانوا قبل الإسلام أمة معتزلة تعيش في صحرائها لا تعرف العالم الخارجي ولا يعرفها العالم الخارجي». (١)

وعن نقده « أن العربي لا يتعمق في موضوعه وعقد مقارنة بينه وبين المفكر الآري» فهذا راجع إلي أن العربي يحب الفكرة البسيطة، والكلام الصريح والبيان الواضح، ويستفيد من الأشياء البسيطة بدقة النظر وشدة النشاط، وهذه الميزة تحمله على أن يتعمق في رؤية كل شيء بسيطًا كان أو معقدًا، فهو ينظر إلى كل ما يشاهد بنظرة دقيقة، وهذه الدقة في الرؤية تزيد قوة بصره، كما تزيد في قوة الذاكرة، فالعربي يمتاز بميزات خاصة له في القوة الباصرة، والقوة الذاكرة، وأجل مظهر من مظاهر البيئة الطبيعية في نفسية العربي حبه لوصف المرئيات وصفًا دقيقًا، ولذلك نرى أن غرائز العربي تميل إلي المادة أكثر من ميلها إلي المعاني، والروح فهو يمتاز عن الآريين في قوة المشاهدة، (٢) والأمثلة علي ذلك كثيرة، ومنها لما كان يسمع القرآن يخر ساجدًا لما عنده من رقة الإحساس ولطف الشعور، فالأصمعي يشير إلى البنت الأعرابية التي فطنت لاشتمال الآية على أمرين ونهيين وبشارتين– ومجمل الخبر: أنّ الأصمعي قال: سمعت بنتا من الأعراب خماسية أو سداسية تنشد: من الرجز

أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ لِذَنْبِي كُلِّـهِ ∴ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
مِثْلَ غَزَالٍ نَاعِمٍ فِي دَلِّهِ ∴ وَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهِ

(١) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ص ١٩٢، ١٩٣، مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول١٤١٢هـ – ١٩٩١م

(٢) ينظر: الأساطير العربية قبل الإسلام د/ محمد عبد المعيد خان ص ١٧، ١٨، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧م.

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: ويحك! أيعدّ هذا فصاحة مع قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [١] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وبشارتين[٢]

ونذكر معلقة واحدة فقط لا مرئ القيس على أن العربي أو البدوي حين يتحدث في غرض معين يأتي في القصيدة الواحدة بموضوعات متعددة، وذلك في معلقته [٣] من الطويل

قفا نَبكِ من ذِكرَى حَبيبٍ ومَنزِلِ ∴ بسِقطِ اللّوَى بينَ الدَّخولِ فحَومَلِ

فهي معلقة اتكأ فيها على الحسن والمشاهدات فهو حين يتحدث عن الحب يصف جمال المرأة ومحاسنها، وحين يصف الفرس يتحدث عن ساقه ومتنه وشَعْره، وحين يتحدث عن المطر يصف كثرته وأنه ألقى مياهه على جبل كذا وكذا ففزعت العصم وهدمت البيوت وسقطت جذوع النخل، دون أن يتحدث الشاعر عما وراء هذه الأوصاف الحسية في الخيل والمطر أو عن عواطفه الإنسانية في حبه وغزله، كما تمتاز بأنها مظهر للبلاغة العربية، وبما فيها من أساليب البيان، وألوان الرسم والخيال والتفكير، فيها تشبيهات بليغة عذبة كثيرة

(١) سورة القصص الآية ٧

(٢) ينظر: محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ص ٢٠٩، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١١٠ ضبطه وصححه أ/ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

واستعارات جميلة بليغة، وكنايات أنيقة ساحرة،... وغير ذلك من أدوات التعبير والبيان [١]

٥- زعمه أن العربي يحكم على الأمور دون برهان، معتمدًا على ذكائه.

فيقول: « يتخيل العربي، إنما بوجه عام، فيحكم على الأمور حكمًا قاطعًا دون برهان، يعتمد على ذكائه فلا يبالي باكتساب ما عند غيره، وهذا شأن كل معتدّ بنفسه كالعربي، فهو في العموم أقدر منه الخصوص... يثور لأقل سبب، لا يهدأ إن لم يشف نفسه ويثأر... يفكر بقلبه لا بعقله » [٢]

هذا وارد عند البعض وليس الكل، عديم التفكير والتروي في الحكم على بعض الأمور، وهذا راجع إلي طبيعة المكان والبيئة المتوارثة، لكن الأدباء والكُتّاب رصدوا لنا جانبًا من حلم بعضهم وترويهم في الحكم على الأمور، حيث قيل:« ليس طبيعيًا أن يكون العرب كلهم حمقى أو طائشين ثائرين، بل الطبيعي أن تختلف طباعهم بعض الاختلاف، فيكون فيهم الأحمق لا يتروى ولا يتدبر ولا يرعوي، ويكون فيهم القريب إلي الحلم، وبين هذين درجات متخلفات، ويكون فيهم الحليم »[٣] وقد رويت عن بعض حكمائهم قصصًا تبعث العجب والإعجاب، وإن صحت بعضها كانت دليلًا على عزيمة راسخة كالجبال، وضبط للنفس عز أن يكون له مثال، فمثلًا قيس بن عاصم كان شريفًا في قومه وكان حليمًا لا يتسرع في الحكم، يفكر بعقله لا بقلبه عكس ما ذكر مارون عبود، وها هو« الأحنف بن قيس يقول إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم؛ أتى بقاتل ابنه فقال: رعبتم الفتى، وأقبل عليه فقال: يا بنيّ لقد نقصت عددك، وأوهنت ركنك، وفتتّ في

(١) ينظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين للشنتمري ج١ ص ٤١، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) الرؤوس، مارون عبود ص١٤

(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفي ص ٢٧٣، وما بعدها

عضدك، وأشمت عدوّك، وأسأت بقومك؛ خلّوا سبيله؛ وما حلّ حبوته، ولا تغيّر وجهه»[١] لو كان متهورًا يحكم بدون تفكير ويسيطر على قلبه الغضب والبغض لقتل من قتل ابنه، ومَثَّلَ به أمام أعين الناس، وما لامه أحد على ذلك، ولكنه ضبط نفسه واستخدم عقله في هذا الموضع الصعب الذي لا يتحمله أي إنسان تجاه قاتل ابنه.

وأمثلة أخرى من الشعر الذي هو مرآة العصر به يعبر الشاعر عن قيم ذلك العصر، ويحاول ترسيخها وتقديمها على أنها خصائص تميز إنسانًا من غيره، ومن هذا الباب اهتم الشعراء بالحكمة ورزانة العقلاء، وأكدوا هذه الصفات علي أنها من القيم الخلقية الرفيعة التي يجب التمسك بها– فضلًا عن القيم الأخرى– كما أنهم يميلون إلي السلم، ويؤثرون العفو مع قدرتهم على تحقيق ما يريدونه، وتمكنهم من الوصول إلي الغايات المرجوة[٢]، وظلت هذه المعاني تتألق في قصائدهم وتأخذ مجالها في حياتهم، وهذا ما أشار إليه خُفاف بن ندبة بقوله[٣] من الطويل

وأُكرِمُ نَفْسِي عن أمورٍ دَنيئةٍ ∴ أصونُ بها عِرضي وآسُو بها كَلْمي
وأصْفَحُ عَمّــن لو أشاءُ جَزَيْتُهُ ∴ فَيَمْنعُني رُشْدي ويُــدركني حلمي

(١) أمالي المرتضي، للشريف المرتضي ص ١١٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤م، وينظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفي ص ٢٧٥، وما بعدها

(٢) ينظر: مجلة المورد مقال بعنوان(الحِلْمُ في الشعر الجاهلي) د/ عبد الرازق خليفة محمود الدليمي ص ٤، العدد رقم ٤٣، العراق١ يوليو ٢٠٠٤م.

(٣) شعر خُفاف بن نُدبة السُّلمى ص ٦٠، وما بعدها، تحقيق وجمع د/ نورى حمودى القيسى، مطبعة المعارف – بغداد ١٩٦٧م.

وأغْفِرُ لِلمولى وإنْ ذو عظيمةٍ ∴ على البغي منها لا يَضيقُ بها جُرْمي
فهذى فعالي ما بَقِيْتُ وإنني ∴ لموصٍ بها عَقْبي وقَوْمي وذا رَحمي

فهم حكماء يصبرون على من أساء عليهم ويتخذون العقل في كثير من أمورهم ما بقيت الحرمات آمنه، حتى إذا ما أصابها أي مكرره أو أذى غضبوا وثاروا، لكن ليست بالصورة التي ذكرها مارون عبود وأراد أن يصدرها عن العرب، فهم ينتفضون للدفاع عن حقوقهم كطبيعة أي إنسان عندما يستنفذ طاقته، فإنه يضطر للخوض بحكمة وتحكيم العقل بدون تهور بعد أن استنفذ كل الوسائل المتاحة حتي لا يستهين بهم أحد، وهذه الصورة جسدها الفند الزماني في قوله[1] من الهزج

كَفَفْنَا عَنْ بَني هِنْدٍ ∴ وقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوانُ
عَسَى الأيَّامُ أَنْ يرجْع ∴ ن قَوْمًا كَالَّذي كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ ∴ بدا والشَّرُّ عُرْيانُ
وَلَمْ يَبْقَ سوَى الْعُدْوَا ∴ نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانوا
أُناسٌ أَصلُنا منهم ∴ ودِنّا كالذي دانوا
وكُنّا معهم نرمي ∴ فنحن اليومَ أُحْدانُ
وفي الطّاعةِ للجا ∴ هل عند الحُرِّعِصْيانُ
فلما أُبىَ الصُلْحُ ∴ وفي ذلك خِذْلان
شَدَدْنا شدَّةَ اللَّيْثِ ∴ غدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بضَرْبٍ فيهِ تَأْييمٌ ∴ وإيتَامٌ وإرْنَانُ

(١) شعر الفند الزماني ص ٢٥، وما بعدها، د/ حاتم صالح الضامن فرزة من: مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

وهناك غير هذا كثير من أقوال الكُتَّاب في كتب الأدب تنسب للعرب كل فضيلة، وتنفي عنهم كل رذيلة، تصفهم بالعقل والحكمة في إصدار الأحكام كالذي ذكره الألوسي حين قال:« إن العرب لما كانوا أتم الناس عقولًا وأحلامًا، وأطلقهم ألسنة وأوفرهم أفهامًا، استتبع ذلك لهم كل فضيلة، وأورثهم كل منقبة جليلة، فإن العقل المشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل والبداهة ... »[١]

وقد بلغ بهم الأمر إلى أنهم يختارون من هو أصلح لرئاسة القبيلة تحت خصال ست وهي: الكرم والنجدة والحلم والصبر والتواضع والبيان[٢]، لو كانوا يتعاملون بزعم مارون عبود لقاتلوا بعضهم من أجلها كالورثة وغيرهم من أجل رئاسة القبيلة، فكل واحد منهم يدعي أنه أحق بها، لذلك يحتكمون إلى العقل والرزانة وعدم إصدار أحكام بدون برهان في اختيارهم... وغير ذلك مما ورد عن العرب في عدم التهور وإصدار أحكام بدون تروٍ وصبر، وترجيح العقل والمنطق في أمورهم، والقليل الذي ذُكِر يغني عن الكثير.

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي ج١ ص١٤٦.

(٢) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام د/ محمد سهيل طقوش ص ١٦٠

المبحث الثاني: مزاعم مارون عبود حول المرأة العربية

المرأة لها مكانتها، ودورها في كل عصر من العصور، وتقصير المؤرخين عنها لاهتمامهم بأمور أخرى كتسجيل حياة الشعوب والأمم والفنون والحروب...، لا يعني إلغاء دورها في الحياة والتقليل من شأنها، كما فعل مارون عبود وزعم عليها بعض المزاعم، وهي كالآتي:

١-زعمه أن حجاب المرأة جاء من أجل الغيرة عليها، ومن شعر الغزل، ثم الإقلال من شأنها

حيث يقول في هذا الشأن: « وتحجب المرأة جاء من الغيرة عليها، فالحجاب العربي مخالف لما اختطه بنو إسرائيل، قبل العرب، فالتوراة تخبرنا أن ثامار تغطت ببرقع، وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة، فحسبها حموها يهوذا زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها، فمال إليها على الطريق، فأعطاها رهنًا خاتمه وعصابته، وعصاه التي في يده[١]، ومن التقاليد العربية الحجاب، جاءنا هذا السيل العرم من الغزل، فنحن – قد يكون غيرنا مثلنا– نفكر دائمًا بالمرأة، والإكثار منها، ونراها متعة، قد يكون الأمر كذلك عند كل أمة، ولكن المرأة لم تحتل عند جميع شعرائهم القسم الأوفر من الأدب، حتى كاد يكون الغزل لأدبنا كالملح للطعام– من حيث الوجوب والضرورة لا من حيث القلة والكثرة» [٢]

قبل مناقشته في أمر الحجاب من الناحية الشرعية لابد أن نعرف أن الحجاب كان موجودًا عند بعض القبائل وبه يفرق بين الحرة وغيرها وهم قبائل

---

(١) راجع: موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين ج٢ ص ٤٣٠، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

(٢) الرؤوس، مارون عبود ص ١٢، ١٣

معد بن عدنان وهي بطون من العرب ولها فروع كبرى، ربيعة ومضر، وقريش وكنانة وأسد وهُذيل وتميم...، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلي أبي موسى الأشعري «**عَلَيْكُمْ بِلِبْسِ الْمُعَدِّيَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَهَدْيِ الْعَجَمِ، فَإِنَّ شَرَّ الْهَدْيِ هَدْيُ الْعَجَمِ** »[١] أي تشبهوا بلباس بني مَعَدِّ بن عدنان، وقد كان الأصل في نسائهم، وكثير من قبائل العرب، الستر الغالب للبدن سواء منهم الوثني أو الكتابي، حتى يقال في مثلهم السائر« **إنَّ العَوَانَ لا تُعَلَّم الْخِمْرَةَ**» [٢] والعوان هي المرأة الثيب، ويقول: فتلك قد عرفت كيف تخمر، لا تحتاج إلى أنْ تعلم، حتى كان كثير من نسائهم لا تكشف وجهها إلا في الإحرام للنسك، وهذا مما بقي فيهم من مناسك الحنفية، حتى لم يفرقوا بين سفور المرأة لإحرامها، وبين سفورها عند الرجال ولو كانت محرمة في الحج، حيث يقول خُفَافُ بنُ نُدْبَة[٣] من الطويل

وأبدَي شُهُورُ الحجِّ مِنْهَا مَحَاسِناً .·. ووَجْهاً متَى يَحْلُلْ لهُ الطِيبُ يُشْرِقِ

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ،لأبي شيبة، (المتوفى: ٢٣٥هـ) ج٦ ص ٤٦١، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ

(٢) الأمثال للبغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) ص ١٠٨،تحقيق د/ عبد المجيد قطامش الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م

(٣) شعر خُفاف بن نُدبة السُّلمى ص ٢٩، جمعه وحققه د/ نورى حمودى القيسى، مطبعة المعارف– بغداد ١٩٦٧م، وينظر: الأصمعيات اختيار الأصمعي للأصمعي ص٢٢، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م

وكانوا يفرقون بين الحرة والأمة بكشف الوجه، والحرائر لا يكشفن إلا عند الشدائد عند الخوف من السبي والأسر، ليراهن العدو فيتركهن زُهدًا بهن، قال سَبْرَة بن عمرو[١] من الطويل

وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهُهَا ∴ يُخَلْنَ إِمَاءً والإِمَاءُ حَرَائِرِ

وقد كانت تُسْتَرُ نساءُ نصارى العرب، فيقول شاعرهم الأخطل[٢] من الطويل

أَنِقْتُ لِبِيضٍ يَجْتَلِيهِنَّ ثَابِتٌ ∴ بِدَوْغَانَ، يَهْفُو قَزُّهَا وحَرِيرُهَا

إِذَا أَعْرَضَتْ بَيْضَاءُ قَالَ لها: اسْفِرِي ∴ وكانتْ حَصَانًا لا يُنالُ سُفُورُها

والسفور عند العرب هو كشف المرأة لوجهها، وليس المراد بذلك كشفها لشعرها أو نحرها، لأنه لا يعرف عند غالب العرب والعجم كشف المرأة لشعرها[٣] وعلى هذا عمل نساء الصحابة في الحج، يتركن النقاب، ويتخمرن أو يتجلببن بغيره، فقد صح عن فاطمة بنت المنذر، قالت: «**كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ**» [٤]

قفد يكون من أجل الغيرة عند البعض في العصور القديمة، لكن في الأصل هو من عادات بعض القبائل به تعرف الحرة من الأمة، ثم جاء الإسلام

---

(١) شرح ديوان الحماسة، للأصفهاني ص١٧٣، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

(٢) ديوان الأخطل ص ١٩٠، شرحه صنفه مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٣) ينظر: الحِجَاب في الشرع والفطرة بين الدليل، والقول الدخيل، عبد العزيز بن مرزوق الطَّرِيفِي من ص ٥٧إلي ٦٠، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

(٤) ينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ج٢ ص ٣٤٩، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، وينظر: الحِجَاب في الشرع والفطرة بين الدليل، والقول الدخيل، ص ٧١

فأصبح فرضًا من أجل الحفاظ على المرأة وعفتها، وسترها من أعين الناس، ولمنع الفتنة بين الناس، فهو عبادة ربانية، وأدلة حجاب المرأة في القرآن والسنة النبوية أقوى وأرسخ من أن تنزعها الأهواء، وشدد الله على الرجل في غض البصر، وشدد على المرأة في الحجاب ، حتى يقل ما بينهما من تجاذب وميل، ولا يعني هذا أنه يجوز للرجل إبداء مفاتنه، فيفتن، ولا يجوز للمرأة إطلاق بصرها، فتفتن،... وحتى تكتمل فطرة العفاف وتصح ، فإذا لم يغض الرجل بصره، فإن المرأة تدفع فتنته بحجابها، وإن لم تتحجب المرأة فالرجل يدفع فتنتها بغض بصره، ولهذا ربط الله بين غض البصر وبين الزنا، لأنه سبب له، فقال للرجال ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾[١] وقال للنساء ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ ولكنه زاد في النساء:﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾[٢] هكذا جاء الوحي مُتَمِّمًا للفطرة في كل واحد منهما[٣]

الاستشهاد بـ (ثامار) اليهودية، لأن المجتمعات والبيئات والثقافات كثيرًا ما تتباين عاداتها، وتتغير نظمها في البيئة الواحدة والعصر الواحد، ففي مصر اليوم سافرات ومحتجبات في المدينة الواحدة، والقرية الواحدة، وسفور المرأة في القاهرة والإسكندرية غير سفور المرأة القروية، وحجاب هذه غير حجاب أولئك [٤] ولهذا شع عندهم في الإسرائيليات أنهن كن يتأنقن بالخلاخيل والأهداب والأهلة والنطف

(١) سورة النور آية ٣٠

(٢) سورة النور آية ٣١

(٣) ينظر: الحِجَاب في الشرع والفطرة بين الدليل، والقول الدخيل، ص ٣٤

(٤) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفى ص ٣٧٥، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٩٦٣م

والأساور والرُّعل والعصاب والمصاعيد والخواتم والأحراز والخُرْصان والتيجان وغيرها من الملابس والمرايا[١]،

والتغني بالحجاب « في شعر الغزل »[٢] فيه دلالة على أن الحجاب كان موجودًا عند أغلب العصور الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية...، حيث أعجب الشنفري[٣] بحبيبته، وهي منتقبة لا تكشف وجهها، من الطويل

لقد أجبتني لا سَقُوطاً قِناعُها ∴ إذا ما مَشَتْ ولا بِذَات تَلَفُّتِ

ويتغزل الحطيئة[٤] في قوام محبوبته ووجهها، ويكني عن وجهها بأنه موضع النقاب، من البسيط

طاقتْ أمامةُ بالركبانِ آونةً ∴ يا حُسْنهُ من قوام مَا ومُنْتَقبا

وقول زهير[٥] فيه دلالة على اتخاذ المرأة للحجاب ولا تبرزه إلا في الفواجع ومع المقربين، من الوافر

وما أدْرِي وَسَوْفَ إخالُ أَدْرِي ∴ أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِسَاءُ

فَإن قالوا: النِّسَاء مخبَّآتٍ ∴فَحُقَّ لكل مُحْصَنَةٍ هِداء

والحجاب لم يكن مقصورًا على العرب، بل كان شائعًا منذ أقدم العصور في بابل وآشور وفارس والروم والهند... ولكن الحجاب الذى دعا إليه الإسلام

(١) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفى ص ٣٩١

(٢) راجح: المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفى من ص ٣٧٦ إلي ص ٣٩٠

(٣) شعر الشنفري الأزدي ص ٧٧، تحقيق ودراسة أحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤) ديوان الحطيئة ص١٧ ، اعتنى به وشرحه حَمْدُو طمّاس ، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٣ ، اعتنى به وشرحه حَمْدُو طمّاس ، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

سهل ميسور مقبول، وهو شبيه بما كان في الجاهلية، وبما نرى اليوم في البوادي والقرى[١]، بخلاف ما كان عند الإسرائيليات كما ذكرنا – آنفًا–.

والمرأة ليست بهذه الصورة التي ذكرها من حيث المتعة، فالمرأة لها مكانتها ودورها التي لا يمكن إغفاله في جميع المجالات حتى في العصر الجاهلي كان لها قدرها عندهم ، كما كان لها كثير من الحرية، فكانت تمتلك المال وتتصرف فيه كما تشاء، وقصة اتجار الرسول –ﷺ– في أموال السيدة خديجة أم المؤمنين مشهورة، وقد دعم الإسلام هذه الحرية، فحرم أن تُعْضَل المرأة وتمنع من الزواج بعد وفاة زوجها كما حرم زواج المَقْت، وهو أن يجمع الرجل بين أختين، وحرم الشِّعار، وهو أن يتزوج شخص أخت صديق له على أن يزوجه أخته، وأيضًا فإنه حرم أن يتزوج الابن امرأة أبيه بعد موته أو أن يتزوج عدة رجال امرأة واحدة، إلي غير ذلك مما كانوا يبيحونه، وتلك كانت عادات عندهم ، فالمرأة لم تكن مهدرة الحقوق في الجاهلية[٢]، ولا للمتعة فما بالك الآن وهي تتولى أعلى المناصب ولها دورها الفعال في أغلب المجالات.

٢– زعمه أن العرب كانوا يقتلون البنات بسبب المغالاة في صون المرأة والغيرة منها وعليها، ولكثرة النسل.

حيث قال: « إفراط العربي في المحبة الجنسية حمله على المغالاة في صون المرأة والغيرة منها وعليها، وهو الذي حمله أيضًا على وأد البنات، ومن أسباب وأد البنات أن كثرة الزوجات تؤدي إلي كثرة النسل، فشاء العربي أن يظل خفيف الظهر فلم يبق من بناته إلا اللازم للتوريد» [٣]

(١) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفى ص ٣٧٧، و ص ٣٨١

(٢) ينظر: العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ٧٥

(٣) الرؤوس، مارون عبود ص١٣

محبة العربي للمرأة والحفاظ والغيرة عليها لا ينكره أحد، لكن في حدود ومواضع معينة، كموضع عبد الله بن الزبير فقد وقف لأبيه الزبير بباب داره وقال: لا أتركنك تدخل حتى تطلق أمي فان مثلي لا يحسن أن تكون له أم توطأ، فطلقها، فتركه فدخل [١]، وقال قيس بن زهير لما تزوّج في غير قومه لامرأته: أنا غيور فخور أنف ولكني لا آنف حتى أضار، ولا أخفر حتى أفاخر، ولا أغار حتى أرى[٢]

وللخريمي بعض الأبيات يفرق فيها بين الغيرة المطلوبة في حينها وبين الغيرة التي تتحول عادة ويصعب التخلص منها، حيث يقول[٣] من السريع

ما أحسن الغيرة في حينها ∴ وأقبح الغيرة في غير حين

مـــن لم يزل متّهما عـــرسه ∴ متّبعا فيها لقول الظّنون

يـوشـك أن يغـريها بالـذي ∴ يخـاف أن يبرزها للعيون

فالغيرة ليست سببًا رئيسًا لقتلهن، فهناك أسباب أخرى، وقبل الحديث عنها لابد أن نعرف أن وأد البنات كان عند قبائل معينة كقبيلة ربيعَة، وَمُضر، كَانَا يدفنان الْبَنَات وَهن حيات، فَأَما بَنو كنَانَة وسائرهم مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِك[٤] ولكن ليس بسبب الغيرة عليهن أو كثرتهم، لكن أغلب المفسرين قالوا في تفسير الآيات التي تحدثت في هذا الشأن كقوله تعالى﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ

(١) ينظر: الأوائل لأبو هلال العسكري ص ١٥٦، دار البشير، طنطا الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ

(٢) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني ج٢ ص ٢٥٣، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

(٣) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري ج٢ ص ٨٤٦، لم أقف له على ديوان.

(٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ج٢ ص١٤٩، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ [(١)] أجمع المفسرون على أن العرب كانت تفعل ذلك مخافة الفقر، والعار الذي يلحق بهم[(٢)]

كما أشار د/ شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي إلى أن أكبر الظن أنهم كانوا يصنعون ذلك منهم أجلاف قساة القلوب، كانوا يخشون عليهن من الفقر أو السبي، إذ كان سباؤهن كثيرًا في الجاهلية، وكانوا يعدون ذلك سُبَّة ما بعدها سبة [(٣)]، ويدخل في أسباب الوأد إذا وُلدت المولودة وفيها عاهة، كالبرص والبَرَش، والعمى والعور، والكسح والعرج، والسواد والزرقة، وتذكر الأخبار أن سودة بنت زهرة بن كلاب أراد والدها وأدها لسوادها، وكانت العرب تتشاءم من ذلك [(٤)] ومن أسباب الوأد وأبرزها الأسباب الدينية، كتقديم الأولاد قرابين للآلهة، أو وفاء لنذر، وهذا السبب يشترك فيه الذكر والأنثى حيث كانوا إذا ما اشتد على أحدهم خطب أو كان له مطلب عظيم نذر بتقريب أحد أولاده قربانا للآلهة أو للشركاء، وقد روت الروايات أن عبد المطلب جدّ النبي – ﷺ– نذر مثل هذا النذر. وأن امرأة بدوية نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة إن فعلت شيئا عينته ففعلته فأرادت أن تفي بنذرها بعد الإسلام فقيل لها إن الله قد حرّم ذلك فأفدت كما فدى عبد المطلب ابنه[(٥)] وقيل من الأسباب أنهم كانوا يعتقدون أن البنات لله

(١) سورة الإسراء آية ٣١

(٢) ينظر: التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي ج٢ ص ٣٧٠، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ

(٣) ينظر: العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ص ٧٥، دار المعارف ، الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩٦٠م.

(٤) ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي ج٣ ص٤٣.

(٥) ينظر: التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت ج٤ ص ١٦٤ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ

ولأنفسهم البنين[١] هذه هي الأسباب التي ذكرت في وأد البنات ولم يذكر من بينها القتل بسبب الغيرة، قد يكون عند البعض بسبب العصبية والغيرة عليها ولكن قليل جدًا كما كان يفعل امرؤ القيس عندما تولد له أنثى حيث كان« مئناثا لا ذكر له، وغيورا شديد الغيرة، فإذا ولدت له بنت وأدها، فلمّا رأى ذلك نساؤه غيّبن أولادهنّ في أحياء العرب، وبلغه ذلك فتتبّعهنّ حتّى قتلهنّ» [٢] فهذه حالات فرديه لا يمكن الاعتماد عليها والحكم على أن العرب يقتلون بناتهم من أجل الغيرة عليها كما يزعم مارون عبود، ولكن أغلب من قتلن كان بسبب الأسباب سالفة الذكر.

٣- زعمه أن المرأة لم تحتل عند جميع الشعراء القسم الأوفر في الأدب، إلا في الغزل من حيث الوجوب

حيث يقول:« ولكن المرأة لم تحتل عند جميع شعرائهم القسم الأوفر من الأدب، حتى كاد يكون الغزل لأدبنا كالملح للطعام من حيث الوجوب والضرورة لا من حيث القلة والكثرة»[٣]

هذا زعم عكس ما ذكره النقاد والأدباء، فقد ذكروا أن المرأة أحتلت مكانة كبيرة في نفوس الشعراء في الغزل وغيره منذ العصر الجاهلي ، لما لها من دور ظاهر في الحياة الجاهلية، ففي كل مناسبة نجد اعترافًا شعريًا من الرجل لها بفضلها وبمنزلتها السامية، إذ كانت هي أهم ما في حياته مما يستحق العناية، ويستوجب التضحية، فهي التي حارب من أجلها وشجُع ليرضيها، وتوجه إليها

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) ج٣ ص٨٤ تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ج١ ص ١٢٢.

(٣) الرؤوس مارون عبود ص ١٣

بكريم الصفات وجليل الفعال، وهي مصدر إلهامه ومناط نجواه ثم إن العاطفة والحس المرهف هما من مقومات الشعر ومقومات طبيعة المرأة[١]

وفي الشعر الجاهلي أدلة كثيرة على أن المرأة شغلت الشعراء وأكثروا من ذكرها في مناسبات عديدة سواء في الغزل... وغيره، وأكبر دليل على ذلك أن د/ أحمد الحوفي كتب كتابًا حول المرأة في العصر الجاهلي للتعرف من الشعر على مكانتها في الأسرة، وفي القبيلة، وفي المجتمع العربي، والصور التي رسمها لها في هذه البيئة في السلم، وفي الحرب، وما كان لها من أثر في الحياة ، وأراد من هذا الكتاب أن يرد على أمثال مارون عبود مما ينقص من مكانة المرأة، وذكرها في أشعارهم في هذا المجتمع، حيث يقول « ثم أردت أن أسترفد هذا الشعر لجلاء منزلة العرب في الحضارة القديمة – من حيث ما يتصل بمنزلة المرأة في الأسرة والقبيلة والمجتمع– فكثيرًا ما تناقض الباحثون في هذه المكانة، بعضهم يسمو بها، وبعضهم يهبط، بعضهم يرى أن العرب كانوا قبل الإسلام في يقظة ووعي وتطور ناهض، فلما جاء الإسلام سار بهم إلي نهاية الشوط، وبعضهم يذهب إلي أنهم كانوا شعبًا همجيًا في الدرك الأسفل من نظمه وعقائده وعاداته، وأخلاقه، فبزغ الإسلام عليهم بزوغ الشمس بعد ليل طويل غاسق، فهداهم إلي الحق الذي جهلوه، وإلي الخير الذي تنكبوه، وقرر لهم نظمًا أسرية واجتماعية لم يكن لهم بها عهد» [٢]

وجاء هو والدكتور/ علي الهاشمي صاحب كتاب« المرأة في الشعر الجاهلي » بالكثير من الأبيات الشعرية، لبيان مكانة المرأة في هذا المجتمع

(١) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي د/ على الهاشمي ص ٥٥ ، ص د، مطبعة المعارف– بغداد سنة ١٩٦٠م.

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفي ص ٦ وما بعدها ،دار الفكر العربي ١٩٦٣م.

وتناول الشعراء لقضاياها من المرأة الأم، والزوجة، والبنت، والأخت والقريبة، وحقوق المرأة المالية، والمرأة من الناحية الأخلاقية سواء محتجبة، أو سافرة، وصناعة المرأة ، وكذلك بيان دورها في الحروب، والسبايا والإماء ، ومكانتها الاجتماعية، والسياسية، وكذلك تناولوا المرأة من الناحية الفنية كالغناء وغيره...، وبيان دورها في رواية الشعر ونقده،[١] وجهدهما واضح في هذين الكتابين حيث ذكرا الكثير من الأبيات الشعرية لكل عنصر من هذه العناصر بفروعه لمختلف الشعراء والتي يضيق المقام لذكرها من كثرتها، ونذكر بعضها للاستشهاد حيث ذكر لبعض الشعراء تمجيدهم الأم والإعلاء من قدرها، والانتساب إليها، يقول[٢] حسان بن ثابت في مدح مارية بنت ظالم أم أولاَد جَفْنَةَ من الغساسنة، من الكامل

لِلَّهِ دَرُّ عِصَابةٍ نادمتُهُمْ ∴ يَوْمًا بِجِلِّقَ فِي الزَّمَانِ الأوَّلِ

أولاَدُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أبيهمُ ∴ قَبْرِ ابن مارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

ويقول طرفة مخاطبًا عمر بن هند عن إبله، فنسبه إلي أمه فقال[٣] من الطويل

أَعَمْرُو بْنَ هِنْدٍ مَا تَرَى رَأْىَ صِرْمَةٍ ∴ لها سَبَبُ تَرعى به الماءَ والشجر

وبعض الشعراء يفخرون بأمهاتهم كـ سلمة بن دُريد بن الصمة، وهو يفخر بأمه سمادير حين قتل أبا عامر الأشعري، فقال مرتجزًا[٤]

---

(١) راجع كتاب: المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفي ، وراجع أيضًا: المرأة في الشعر الجاهلي د/ على الهاشمي. وما فيهما من أبيات لكل عنصر من هذه العناصر بفروعه.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت ص ٢٢٥، وما بعدها، ضبطه وشرحه/ عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٣) ديوان طرفه بن العبد ص ٤٤

(٤) ديوان دريد بن الصمة الحبشي ص ٢٠، قدم له د/ شاكر الفحام ، جمع وتحقيق وشرح/ محمد خير البقاعي – دار قتيبة سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

إن تسألوا عني فإني سلمه ...
ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رءوس المسلمة

كما حظيت المرأة العربية مكانة كبيرة عند زوجها مما جعل بعض الشعراء يتغزلون بهم، فهذا زهير بن أبي سلمى يتغزل بامرأة أم أوفى، وبدأ بها مقلقته[١] من الطويل

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلّمِ ∴ بِحَوْمَانَةِ الدّرَاجِ فالمُتَثَلَّمِ

وامرؤ القيس تغزل في زوجته أم جُندب بقوله[٢] من الطويل

خَلِيلَيَّ مُـرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ∴ نُقَضِّ لُبَانَـاتِ الفُـؤادِ الْمُعَـذَّبِ
فَإِنَّكُمَا إِنْ تُنْظَرَانِي سَـاعَةً ∴ مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعِنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ
أَلَمْ تَـرَ أَنِّـي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ∴ وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ
عَقِيلَـةُ أَتْرَابٍ لَهَـا لَا دَمِيمَةٌ ∴وَلا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْـتَ جَأْنَـبِ

ومن الشعراء من بين دور المرأة في الحروب قفد تساوت مع الرجل في المكانة السامية، وأصبحت ذا رتبة عالية، كدور(عمرة بنت علقمة) لما أنقذت لواء قريش في غزوة أحد، وحولت النصر إلى جانبهم بعد أن سقط لواؤهم[٣]، وفي ذلك يقول حسان[٤] من الطويل

وَلَوْلا لِوَاءُ الحارِثِيّةِ أَصْبَحُوا ∴ يُبَاعُونَ فِي الأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلَائِبِ

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٦٤
(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٩
(٣) ينظر: قصة الأدب في الحجاز تأليف: عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجي ص ٤٦٤، مكتبة الكليات الأزهرية بدون
(٤) شرح ديوان حسان بن ثابت ص ٥٢

كل ما سبق بين مكانة المرأة عند الشعراء ، ولم يقتصر حديثهم عنها في الغزل كما يدعى مارون عبود ، إنما بينوا دورها في المجتمع سواء من ناحية الأمومة، أو الزوجة، أو دورها في الحروب ....وغير ذلك وللمزيد حول هذا الموضوع راجع كتابي د/ أحمد الحوفي، و د/على الهاشمي (المرأة في الشعر الجاهلي) ففيهما القول الشافي حول هذه القضية.

المبحث الثالث: مزاعم مارون عبود حول الشعر العربي

لا شك أن الشعر الجاهلي هو الأصل الذي انبثق منه الشعر العربي في سائر عصوره، وهو الذي أرسى عمود الشعر، وثبت نظام القصيدة، وصاغ المعجم الشعري العربي عامة[١] ولست أفهم كيف استطاع مارون عبود أن يزعم عليه بعض هذه المزاعم بدون دليل قاطع، وبرهان ساطع، كهذه المزاعم وهي:

١- زعمه أن اهتمام الجاهلي بنفسه حال دون تطور شعره فجاء الخيال عنده سطحيًا.

في قوله:« إن اعتداد الجاهلي بنفسه واعتزاله غيره من الناس حال دون تطور الشعر، جاء خياله سطحيًا حسيًا لأن مروره في صحرائه سطحي أيضًا، يتبع مواشيه إلى المراعي، ينتقل ويلتفت فيرى كل شيء في محيطه متشابهًا، ومن أين يأتيه الوحي »[٢]

لم تكن الفردية سمة عامة عند شعراء الجاهلية فقد وجد منهم من كان مهتمًا بحياة الأخرين، وليس كل شعرائهم منعزلين عن الناس فقد شاركوا غيرهم وتأثروا بهم في أغلب المجالات، حيث أشار بعض النقاد إلي أنه « ثبت بالدليل القاطع بما ورد في كتب التاريخ والسير والتفسير والحديث الشريف وكتاب الله أن العرب اتصلوا بغيرهم، حتى إن بعضهم أصنامهم جلبت من البلقاء، كما ثبت أن كثيرين منهم عرفوا اللغة الفارسية والحبشية وغيرهما، وثبت أيضًا أنهم كانوا يتاجرون مع غيرهم من خارج الجزيرة العربية.

إذن فقضية الاتصال بغيرهم واضحة كل الوضوح، والاتصال يعني تأثرًا وتأثيرًا حسب الحاجة وحسب المستوى الثقافي والحضاري للشعبين المتصلين

(١) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد ص١دار المعارف بمصر، الطبعة: الطبعة السابعة ١٩٨٨م.

(٢) الرؤوس، مارون عبود ص١٨

ببعضهما بعضًا، والأدب بشعره ونثره من نتاج نفرٍ من أهله يعبر عن أحاسيسهم، ومشكلاتهم، وتناقضات مجتمعهم، وأحلامهم، وهمومهم، واللغة أداته، فكيف بعد هذا كله ننكر الاتصال والتأثر والتأثير؟ كيف ننكره والمنطق السليم والشواهد والأدلة المادية تؤكده؟ » [١] ومن الشعراء الذين تأثروا بغيرهم علقمة بن عبدة حين استمع إلى آلات الطرب عند الغساسنة فتأثر بهم وأدخل هذه آلات في شعره[٢]، ومن ذلك قوله[٣] من البسيط

قد أَشْهَدُ الشَّربَ فِيهِمْ مِزْهَرٌ رنِمٌ ∴ والقَومُ تَصْرَعُهُمْ صَهْباءُ خُرطُومُ

وقول الأعشى [٤] من البسيط

وَمُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يُسْمِعُهُ ∴ إذا تُرَجِّعُ فِيهِ القَيْنَةُ الفُضُلُ

وكانوا كذلك في الحيرة يستمعون إلى القيان وهن يضربن على الآلات الموسيقية الفارسية. وأدخلوا كثيرا من هؤلاء القيان إلى جزيرتهم من مثل خليدة وهريرة في اليمامة[٥] وفي ذلك ما يدل على أن الغناء في الجاهلية تأثر بعناصر أجنبية كثيرة، وأدخل عليه الشعراء ألفاظًا غير موجودة في بيئتهم هذا عن التأثر.

(١)الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا د/ عفيف عبد الرحمن ص ١٥٣، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ج١ ص ١٩٢، دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م.

(٣) ديوان عَلقمَة بن عَبَدَة ص ٥٧، شرح/ سعيد نسيب مكارم، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٤) ديوان الأعشى الكبير ص ٢١٦، تحقيق د/ محمود إبراهيم محمد الرضواني ، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(٥) ينظر: كتاب الأغاني للأصفهاني ج٩، ص ١١٣، تحقيق د/ إحسان عباس وآخرين، دار الكتب بدون

وعن قوله:« خياله جاء سطحيًا... » لابد أن نعرف أن الشعر صناعة معقدة تخضع لقواعد دقيقة صارمة في دقتها بحيث لا ينحرف عنها صناع الشعر، ومن الخطأ – أيضًا– الظن بأن الحياة الأدبية في العصر الجاهلي كانت ساذجة بسيطة؛ فقد كانت معقدة ملتوية شديدة الالتواء، ولم تكن على هذا النحو من اليسر والسهولة الذي يجعل الشعراء يصدر عنهم شعرهم صدور الفطرة والسليقة، كما يصدر الضوء عن الشمس والشذى عن الزهرة؛ بل كانوا يتكلفون في شعرهم فنونًا من التكلف، إذا كانوا عُمَّالًا صناعًا يعملون شعرهم عملًا، ويصنعونه صناعة ويتعبون فيه أنفسهم تعبًا شديدًا(١)، فـ زهير بن أبي سلمى، وطَرَفَة بن العبد، وامرؤ القيس...، وغيرهم لهم قصائد تسمى بـ «الحوليات» فكانوا ينظمون القصائد ويهذبونها، ويصوبونها حتى تستوي على سوقها في حولٍ كامل، والشاعر منهم يستقي في أخيلته من العالم الحسي المترامي حوله فوصفوا أشياء دققوا النظر في كل أجزائها، وفصلوا الحديث فيها تفصيلًا، فكأن الشاعر منهم نحاتًا لا يصنع قصيدة، وإنما يصنع تمثالًا(٢)، وخير مثال على ذلك وصف الناقة لطَرفة في معلقته(٣)، فقد نعت جميع أعضائها وكل دقيقة فيها، ولم يترك منها شيئًا دون وصف أو بيان. من الطويل

وإني لأمْضي الْهَمّ عندَ احْتِضَارِهِ ∴ بعَوْجاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
أمونٍ كَأَلْوَاحِ الإرانِ نَضَأتُها ∴ على لاحِبٍ كأنّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ
جَمالِيّةٍ وَجْنَاءَ تَرْدي كَأَنَّها ∴ سَفَنّجَةٌ تَبْرِي لأزْعَرَ أَرْبَدِ

(١) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د/ شوقي ضيف ص ٢٢ دار المعارف بمصر، الطبعة الحادية عشرة، سنة ١٩٦٠م.

(٢) ينظر: العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ٢٢١

(٣) راجع : ديوان طرفه بن العبد ص ٢٧

تُبــارِي عِتاقًا ناجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ ∴ وَظِيفًا وَظِيفًا فـوق مَـورٍ مُعَبَّدِ

..... إلي أخر الأبيات التي يصف فيها الناقة وصفًا نجد فيه خيالًا بديعًا وتشبيهًا طريفًا، حيث ضاعف من الأشياء التي تبدو عادية مألوفة، ومدها بقوة جديدة مما زاد من أهميتها وصدقها، وأعطاها حقيقة عميقة مثل تشبيه عرض عظامها بألواح التابوت، ثم ذكر سوقه إياها بالعصا، ثم شبه الطريق بالكساء المخطط؛ لأن فيه أمثال الخطوط العجيبة، وشبه شعر ذنبها بجناحي نسر أبيض في الباطن.... [١]

وللخيال الأثر الأعظم في تكوين هذا المجتمع الإنساني وتكييفه بالصورة التي يريدها، فلولا خيال الشعر ما هاج الوجد في قلب العاشق، ولولا خيال الشرف ما هلك الجندي في ساحة الحرب، ولا ابتدعت المبتدعات، ولولا خيال الرحمة ما عطف غني على فقير، ولا حنا كبير على صغير. [٢]

لهذا فهو وصف لا يليق بالشعر الجاهلي وهو تعميم جنسي بغيض لا دليل عليه كما يقول د/ شوقي ضيف« تعميم جنسي لا دليل عليه وكأنما قادته إليه نظرية الأجناس البشرية وما يدعو إليه أصحابها من تفوق الجنس الآرى على ما سواه من أجناس»[٣].

فالفخر والحماسة والغزل والوصف والتشبيه والمجاز كل هذا ونحوه مظهر من مظاهر الخيال القوية الموجودة عندهم، والعرب أكثروا القول فيه كثرة استرعت الأنظار، وليس معنى ذلك أن كل خيالات وصور الشعراء فيها عمق

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع للمرزوقي ص ٩٣، ٩٦

(٢) ينظر: النظرات مصطفى لطفي المَنْفَلُوطي ص٤٨ وما بعدها، دار الآفاق الجديدة الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

(٣) ينظر: : تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ج١ ص ٨٣، دار المعارف – مصر الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م

وحركة، ولكنها تختلف في التعقيد والبساطة، وتختلف – أيضًا– في العمق والسطحية من صورة لأخرى، وليس كما يزعم مارون عبود، وهو في هذا الرأي يردد قول « أوليرى: إن العربي مادي، ضيق الخيال، جامد العواطف »[١] ولا نعرف أي عربي أو بدوي يقصد لأنه يناقض نفسه، حيث حكم على امرئ القيس أنه « لا يتخلى عن خياله القوي حتى في سرد حوادث حبه الواقعية» [٢] وجاء بقوله[٣] من الطويل

سَمَوتُ إليها بَعْدَ ما نَامَ أهْلُها ∴ سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالاً على حَالِ

أليس امرؤ القيس من العرب الذين عمم الحكم عليهم بالسطحية في الخيال، من هنا يتضح أن مارون عبود يردد قول غيره بدون دليل ، وليس أدل على ذلك من اضطراب آرائه.

وعن قوله:« ينتقل ويلتفت فيرى كل شيء في محيطه متشابهًا، ومن أين يأتيه الوحي» ليس هذا بصحيح بدليل أنَّ الشعراء الجاهليين استطاعوا أن يأتوا من الفكرة الواحدة بأكثر من صورة[٤] تختلف بين العمق والبساطة، وخذ مثلا تصويرهم للرجال بالكواكب والنجوم، حيث يقول عامر المحاربي[٥]من الطويل

---

(١) ينظر: : فجر الإسلام أحمد أمين ص ٣٦،٣٧، نقلا عن كتاب أو ليرى Arabia Before Muhammad

(٢) الرؤوس، مارون عبود ص٢٣

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٢٤، صححه وضبطه أ/ مصطفى عبد الشافي.

(٤) راجع: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي د/ عفيف عبدالرحمن ص ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، راجع: شعر الحرب في العصر الجاهلي د/ على الجندي ص ٤٠١ وما بعدها، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

(٥) المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) ص ٣٢١، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة بدون

وكنَّا نُجُوماً كُلَّمَا أنْقَضَّ كَوْكَبٌ ∴ بدا زاهر منهن ليسَ بأَقْتَمَا

ويقول[١] طفيل الغنوي في مديح قوم، من الطويل

كَوَاكِبُ دُجْنٍ كُلَّما غَابَ كوكب ∴ بَدَا وانجَلَتْ عَنْهُ الدُّجُنَّةُ كَوْكَبُ

ويقول[٢] لقيط بن زرارة، وقد أضاف إلى هذا المعنى زيادة بديعة، من الطويل

وإنِّي من القومِ الذين عرفتَهم ∴ إذا فاتَ منهم سيّدٌ قام صاحبُهْ

نجومُ سماء كلَّما غابَ كوكبٌ ∴ بدَا كوكب تأوِي إليه كواكبُهْ

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم ∴ دُجَى اللَّيل حتَّى نظَّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

وألمّ النابغة بهذه الصورة فنقلها نقلة جديدة، إذ قال في النعمان بن المنذر مقارنا بينه وبين الغساسنة، فقال[٣] من الطويل

بأنَّكَ شَمْسُ والنُّجومُ كَواكِبُ ∴ إذَا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنهُنَّ كوكَبُ

هكذا لم يمنعه محيطه من التنوع في الفكرة الواحدة، لم يحل بينهم وبين النفوذ منها إلى دقائق كثيرة، فقد تحولوا يولدونها ويستنبطون منها كثيرا من الخواطر والصور الطريفة، كلًا منهم على حسب قريحته [٤]

٢- زعمه أن قصيدة واحدة تغني عن الشعر الجاهلي كله.

في قوله:« أنَّ قصيدة واحدة من القصائد العشر تغني عن الشعر الجاهلي كله، ماذا يعنينا اليوم من حياة لا نعيشها، فلنفتش عما ينفع أبناءنا تربويًا، فلو كان في أقوال هؤلاء خير ما قال عنهم الكتاب الكريم ما قال وسفههم، إن الإسلام

(١) ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي ص ٥٤، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧

(٢) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ج٢ ص ٧٠٠

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية بدون

(٤) ينظر: : تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ج١ ص ٢٢٢وما بعدها

منذ أربعة عشر قرنًا غير المثل الأعلى الجاهلي، ونحن في القرن العشرين نحسبه ركنًا تعليميا»[١]

كلام مارون عبود عن «أنَّ قصيدة واحدة من القصائد العشر تغني عن الشعر الجاهلي كله» لا يستقيم البتة لو استعرضنا المعلقات على وجه السرعة لوجدنا أن كل قصيدة من هذه القصائد لها طبيعتها وموضوعاتها ونفسية صاحبها وعاطفته وأسلوبه ولغته...، فكل قصيدة لها شعور عام يسيطر عليها من أولها إلى آخرها، فقصيدة امرئ القيس تصوير لنفسية شاب يعشق الجمال فيقبل على الحياة، باحثًا عن نواحي الجمال فيها، ويحاول بكل ما يستطيع أن يستمتع بكل مظهر من مظاهر الجمال، ويؤلمه أن يعترضه ما يعكر صفو حياته، أو يقلل من سروره ومتعته، حتى ولو كان من مظاهر الفطرة التي لا دخل للإنسان فيها فيحاول التخلص منه، ويبحث عن المتعة والسرور في كل اتجاه.

وقصيدة طَرَفَة يسرد فيها شعور الطموح وحب الظهور، فالأطلال تلمع فهي ظاهرة واضحة، وموكب الارتحال ضخم عظيم، والحبيبة من طبقة مترفة تتحلى بالجواهر الثمينة، ووجهها يشع نورًا ودفئًا وحياة، وناقته ضخمة عظيمة، وشخصيته ذائعة الشهرة والصيت.

وفي معلقة زهير، يشيع نقاء السريرة وحب الخير، فهي تصوير لنفسية رجل حلب الدهر أشطره، فعرف خيره وشره، وحلوه ومره، وثبت لديه أن الحياة لا قيمة لها بدون سلام. [٢]

(١) الرؤوس مارون عبود ص ٣٤

(٢) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي/علي الجندي ص ٣٣٢، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأول١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

وفي معلقة لبيد، نرى الرغبة في الوصول إلى الأهداف والغايات على أساس الحقيقة والواقع لا جريًا وراء الأوهام، ولا تعلقًا بالأماني والأحلام البعيدة المنال، مع اتخاذ الحيطة والحذر، ومعالجة الأمور بالعقل والتدبر، فالأطلال قد دُرست، والمكان تبدل بأنسه وبهجته الوحوش والوحشية، وأصبحت الأطلال لا خير له فيها، فلا جدوى من الوقوف بها والاستخبار عن أهلها، وكان ارتحال الحبيبة مثيرًا للشوق، ولكن ما فائدة تذكرها وقد بعدت وقطعت الصلة، فخير ما يجب أن يقطع صلة من قطعه، فالجزاء من جنس العمل، وليترك المكان بالسفر على ناقة دائمة النشاط والسرعة، مهما بلغ منها الإعياء، في سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة، ولتكن في جريها كأتان حامل تهرب من حمار يطاردها بعنف فتجري، وتسلك مسالك وعرة، وتتحمل ما تتحمل من العناء والتعب في سبيل المحافظة على سلامتها وسلامة جنينها، أو لتكن الناقة في جريها كبقرة وحشية حزينة غفلت عن ولدها فافترسته الذئاب، وفاجأها الصيادون فولت هاربة في عنف وسرعة فائقة، حتى إذا أحست الخطر دخلت معركة عنيفة مع أعدائها فصرعتهم ونجت بحياتها، وناقته التي تلك سرعتها تعينه على إبعاد ما ينغص حياته أو يسبب اللوم أو المؤاخذة؛ لأنه هو وقومه يعرفون قيمة الحياة الكريمة، فيحافظون على ما يحمي شرفهم ويعلي مكانتهم مهما كلفهم من مشقات وتضحيات، فالكل يكافح ويقاسي في سبيل حب البقاء.

أما معلقة عنترة ففيها الشهامة بمثلها العليا ومبادئها النبيلة، فيها الوفاء بالعهد للديار وإن أصبحت أطلالًا، فلها التحية والمهابة والاحترام، والوفاء بالعهد لمن سكنتها وإن باعدت بينهما الظروف، فلها كل محبة واحترام، وهو يدخل الحروب ويجابه الأخطار لأغراض سامية، لا طمعًا في كسب، ولا جريًا وراء نزوة، فيقاتل وينتصر فيتعفف عن الغنائم ولا ينظر إليها، ويقتل حليل الغانية الصنديد ولا يمسها بسوء، ويحافظ على شرف المرأة ولو كانت من الأعداء، ويدعو لحبيبته ألا تكون لأحد إلا عن طريق الحلال، وأمنيته أن تكون هي

الحلال له، ويعرض بطولاته وأمجاده أمام حبيبته، ليؤكد لها أنه قادر على حمايتها والمحافظة عليها معززة مكرمة في وقت كانت النساء فيه نهبًا لمن استطاع أخذهن بالقوة حيث لا قانون إلا القهر والغلبة، وهو في أوقات الشدة وساعات الخطر محط الآمال وموطن الرجاء، وموضع الثناء والإعجاب. (١)

ومعلقة عمرو بن كلثوم، تصور الرغبة في التعالي وحب العظمة في النفس البشرية، لا في فرد واحد، ولكن في مجموعة، فهي تتغنى بصفات القبيلة المثالية تجاوبًا مع التيار العام السائد في العصر الجاهلي، حيث لا أمان إلا بالقوة والإرهاب، فما هي إلا ذكر المفاخر والأمجاد، وحديث عن الأصل والحسب والشرف والقوة والعزة والصلابة والعناد في هذه القبيلة. وقد انطلق الشاعر في كلامه بقوة وحماسة وحمية تجعل كلا من القارئ والسامع تنتفخ أوداجه، ويشمخ برأسه ويتطاول إلى السماء، كأنما يتمنى أن يكون واحدًا من هؤلاء الموصوفين: عزة وإباءً، وكثرة في البر، ورهبة في البحر.

أما معلقة الحارث بن حلزة فيسيطر الغضب فيها؛ فقد امتلأت جوانح الشاعر غيظًا ألهب عواطفه، فثار ثورة عنيفة، فانطلق يروي ويروي مفصلًا ومبينًا حتى لتحس كأنما يهدد، ويرغي، ويزبد، ويتطاير منه الحمم كبركان ثائر يقذف بالجمر: فضح الخصوم وعدد مخازيهم، وسرد معايبهم في عرض قوي مثير، وأشاد بقومه في لباقة تثير العجب، وتجلى ذكاء الحارث، وعبقريته الفنية في مزجه مدح عمرو بن هند بذمه الأعداء وبفخره بقومه.

وأعتقد أن من أسباب خلود المعلقات، أن كلا منها تشبع غريزة من غرائز النفس البشرية، فهناك حب الجمال في معلقة امرئ القيس، والطموح وحب الظهور في معلقة طرفة، والرغبة في الأمن والاطمئنان في معلقة زهير، وحب

(١) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي/علي الجندي ص ٣٣٣.

البقاء والكفاح في سبيل الحياة في معلقة لبيد، والإعجاب بالشهامة والمروءة في معلقة عنترة، وحب التعالي والعظمة في معلقة عمرو بن كلثوم، والغضب للشرف والكرامة في معلقة الحارث بن حلزة[١]

فالشعر الجاهلي أكبر من أن تغني عنه قصيدة واحدة معينة، في طبيعته وموضوعاته، لأنه يحاكي مجتمعًا كبيرًا و يصور حياة الجاهليين في عاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم...، وشعراء كثر لكل شاعر منهم أسلوبه ومعجمه الشعري، وصوره.... ، فلا يصح بأي حال من الأحوال أن ننقص من شاعريتهم أو من قدرتهم الأدبية ، لأن الشاعرية لا تقاس بالنوع فقط، إنما تقاس أيضًا بالدرجة التي بلغتها الأمة في جميع النواحي.

أما عن قوله:« ماذا يعنينا اليوم من حياة لا نعيشها، فلنفتش عما ينفع ابناءنا تربويًا...» يعنينا أن تعرف الأجيال أبرز معالم الحياة العربية قبل الإسلام وبعده من الناحية الدينية والاجتماعية والثقافية، فالشعر الجاهلي يتضمن الكثير عن العرب في ذلك العصر، فسجل حياتهم وبيئتهم وظروفهم وأحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يجعلنا نؤمن بأنه يمكن الاعتماد عليه في تصوير الحياة العربية في العصر الجاهلي[٢] ، فسجل حياة أعظم القبائل العربية ووثيقة تاريخيه لأحداث عصرهم، وأيضًا وثيقة تاريخية لكثير من أحداث سيرة الرسول، وسيرة الخلفاء الرائدين... فلولا دراستنا للشعر ما عرفنا شيء عن حياة الأمم السابقة، من لم يكن له ماضي ليس له حاضر.

(١) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي/علي الجندي ص ٣٣٤

(٢) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي/علي الجندي ص ٤٤٤

٣-وفي موضع آخر يزعم أن شعر أحد الجاهليين لا يختلف عن الأموي والعباسي كله.

فيقول:« قال الأولون الجاهليون شعرًا أعجبنا لأنه صور لنا حياتهم تصويرًا صادقًا، ولكننا حين نقرأ الذين جاؤوا بعدهم لا نرى شيئًا فنستحي من طلابنا إذ لا نرى مزيدًا أو شيئًا نقوله لهم، لقد تلبى جميع شعرائنا بذواتهم- وعلى نمط واحد- فجاء شعرهم متشابهًا، إذا قرأت أحد الجاهليين فكأنك قرأت الجاهلي والأموي والعباسي كله- ما خلا نفرًا من الشعراء أحدثوا شيئًا جديدًا»(١)

لا شك أن التفاعل بين الحضارات أمر ضروري، ولكن لكل حضارة إرث حضاري يختلف عن غيره، فعندما يغزو مجتمع مجتمعًا آخر سواء غَلبه أو غُلب يحدث بينهما تبادل في العلوم والمعارف والعادات والتقاليد...، وهذا راجع إلي مدى التأثير والتأثر بين المجتمعات، وفي العصر الأموي والعباسي حدث تطور كبير في الشعر وغيره بسبب تفاعل المجتمعات في ذلك الوقت بخلاف ما زعم مارون عبود، وأكبر دليل على ذلك أن الدكتور/ شوقي ضيف كتب كتابًا في هذا الشأن بعنوان (التطور والتجديد في الشعر الأموي)، كشف فيه عما لحق الشعر من تطور، وما طرأ عليه من جديد في ذلك العصر.

ثم جاء العصر العباسي، ومنحت الدولة الحرية لرعاياها، وفتحت الباب على مصراعيه أمام الأجناس غير العربية، فاختلط العرب بغيرهم من الأعاجم، وامتزجت الأجناس واللغات والثقافات والحضارات، وذابت الفوارق بينها، وانصهرت جميعها في بوتقة عربية إسلامية، وتحولت إلى جنس عربي وثقافة عربية إسلامية، وحضارة عربية إسلامية، وشمل ذلك التغير والتطور والتجديد كل مناحي الحياة، وبالطبع لابد أن ينعكس على الأدب في ذلك العصر، فرأينا أدبًا

(١) الرؤوس مارون عبود ص ١٨.

مُجَدَّدًا، يعني أدبًا كان موجودًا في العصور السابقة، وأدخل العباسيون عليه بعض التجديدات، ثم رأينا أدبًا جديدًا في موضوعاته، وأفكاره ولغته وموسيقاه [١]

ومما كان له أثر في تجديد موضوعات شعرهم « الإسلام » وهو تأثير يقوى ويضعف حسب نفسية الشعراء، حيث كانوا يحدِّثون الناس عن البعث والثواب والعقاب ونعيم الجنة وعذاب النار داعين دعوة واسعة إلى التقوى والزهد في متاع الدنيا، وترامت من هذه المواعظ ومن القرآن الكريم وأحاديث الرسول-ﷺ- وأقوال الصحابة الأولين أشعة كثيرة نفذت إلى نفوس الشعراء وانعكست في أشعارهم على اختلاف موضوعاتها. [٢]

فالغزل أصبح أكثر براءةً وطهرًا وصفاءً ونقاءً عند شعراء نجد وبوادي الحجاز وعند فقهاء المدينة ومكة، مما هيأ لظهور الغزل العذري بل لشيوعه، وكأنما أضفى الإسلام على المرأة وعلاقاتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضربا من القدسية، أحاطها بهالة من الجلال والوقار، فإذا الشاعر لا يدنو منها إلا في احتياط، بل إذا هو يرى دونها صعابا أي صعاب، فيتحول إلى نفسه يشكو ما أصابه من تباريح الحب وأوصابه شكوى تشفّ عن ألمه وعذابه في حبه[٣]، وهى شكوى يضرع فيها أحيانا إلى ربه على شاكلة قول جميل[٤] من الطويل

إلى اللهِ أشكو، لا إلى الناس، حُبَّها ∴ ولا بُدّ من شكوى حبيبٍ يُروَّعُ
ألا تَتَقِيـــنَ اللهَ فيمَـن قتلـتِـهِ ∴ فَـأمسَى إليكم خـاشِعًا يتـضـرّعُ؟
فيـا ربِّ حبّبني إليهـا، وأعطِنِي الـ ∴ مـودّة منها أنـتَ تُعطى وتمنعُ

(١) ينظر: أصول البحث الأدبي ومصادره ص ١٢، تأليف/مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية. بدون

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ص ١٧٦وما بعدها.

(٣) ينظر: تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ص١٧٧.

(٤) ديوان جميل بثينة ص ٧٣ وما بعدها، دار صادر بيروت بدون

والبعض منهم يردد فكرة العفو والغفران من المحبوبة، كقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة[١] من الوافر

فَدَيْتُكِ أَطْلِقِي حَبْلي وَجودي ∴ فَإنَّ اللهَ ذو عَفْوٍ غَفُورُ

وإذا ذهبنا إلى المديح وجدناه يتحول في كثير من جوانبه إلى تصوير الفضيلة الدينية في الممدوح، على شاكلة الشاعر« كُثَيِّر» في مدح عمر بن عبد العزيز، حيث يصور في عمر التقوى والزهد والإعراض عن الدنيا وفتنتها ومتاعها الزائل، فيقول[٢] من الطويل

وصدَّقْتَ بالفِعْلِ المقالَ مع الذى ∴ أتَيْتَ فأمْسى راضيًا كلُّ مُسلمِ
تكلّمْتَ بالحَقّ المُبينِ وإنّما ∴ نبَيّنُ آيات الهُدى بالتّكلّمِ
وقد لبِسَتْ لُبس الهَلوكِ ثيابَها ∴ تراءى لك الدُّنيا بكَفٍّ ومِعصَمِ
وتومضُ أحيانا بعينٍ مريضَةٍ ∴ وتَبسِمُ عَن مثلِ الجُمانِ المُنظَّمِ
فأعْرَضْتَ عنها مُشمئزّاً كأنما ∴ سقَتْكَ مَدوفا مِنْ سِمامٍ وعلقَمِ
تركتَ الذى يَفْنى وإن كان مُونقا ∴ وآثْرتَ ما يَبْقى برأيٍ مُصَمّمِ
وأضْرَرْت بالفاني وشمّرتَ للذي ∴ أمامك في يوم مِن الشّرّ مُظلِمِ

وغير ذلك من الأغراض[٣] التي تختلف عن الشعر الجاهلي في التناول والعرض وتأثر المجتمع الأموي بها عليها، حيث أحدث شعراؤهم أشياء جديدة في أشعارهم بخلاف زعم مارون عبود، هذا وقد امتزج العرب بغيرهم من البلدان

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٧٢، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ فايز محمد، دار الكتاب العربي– الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) ديوان كُثَيِّر عَزَّة ص ٣٣٤وما بعدها، جمعه وشرحه د/ إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان سنه ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(٣) راجع: التطور والتجديد في الشعر الأموي د/ شوقي ضيف ص ١٣١إلي ص ٣٢٤، دار المعارف ، الطبعة الثامنة ١٩٨٧م.

المفتوحة، مما كان له أثر في دخول بعض الألفاظ الأعجمية، وإحداث صور مختلفة

وكذلك في العصر العباسي عرضت للشعر عوارض عملت على تجديده، فأثرت في أسلوبه ومعانيه وأغراضه، وأوزانه، فأما التأثير في أسلوبه، فهجر الكلمات الغريبة، وعذوبة التراكيب، ووضوحه، واستحداث البديع والاستكثار منه، وترك الابتداء بذكر الأطلال إلي وصف القصور والخمور والغزل، والإغراق في المدح والهجاء، والإكثار من التشبيه والاستعارة، والحرص على التناسب بين أجزاء القصيدة، ومراعاة الترتيب في التراكيب.

وأما في معانيه، تولدت المعاني الحضرية، واقتباس الأفكار الفلسفية، إذ أكثر شعراء هذا العصر وِلْدان جنسيتين، ورضّاع لغتين وأدبين، ولهذا اللقاح من الأثر في الفكر والعقل ما يعلل لك وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي، ثم نقل العرب علوم اليونان وغيرهم فكان لهذا النقل فضل على الشعر في معانيه لا في فنونه....

وأما في أغراضه، فالمبالغة في نعت الخمر ومجالسها، ووصف الرياض والصيد وغزل المذكر، والمجون ، والوعظ، والزهد، والأخلاق، والفلسفة، وضبط العلوم كالنحو وغيره

وأما في أوزانه، فبالإكثار من النظم في البحور القصيرة، وابتداع أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد وهما عكس الطويل والمديد، والموشح، والزجل، والدوبيت، والمواليا، وكذلك في القافية كالمُسَمَّط، والمُزْدَوج[1]، أليس هذا كله تجديد في الشعر؟، ودواوين الشعراء العباسيين من أمثال أبي فراس الحمداني،

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة بدون

وأبي تمام، والمتنبي، والبحتري، وابن الرومي، ومسلم بن الوليد....وغيرهم الكثير، أكبر دليل على ذلك سواء في الأغراض والمعاني والأوزان...وعشرات الرسائل والأبحاث التي كتبت حول هذه الأفكار التي وجدت عندهم شاهد على ذلك.

بالإضافة إلي كثرة دخول بعض الألفاظ الأعجمية في هذا العصر على سبيل التظرف والتملح، حيث أشار بعض النقاد إلي ذلك بقوله « ومن غير شك كان دخول هذه الكلمات الأعجمية في الشعر العباسي أوسع منه في الشعر الأموي؛ غير أن ذلك ظل في حدود ضيقة، وظل الشعراء يصنعونه على سبيل التظرف والتملح»[١] ومن ذلك قول الشاعر العباسي أسود بن أبي كريمة، حيث أدخل على شعره ألفاظًا فارسية، في قوله [٢] من مجزوء الرمل

لـزم الغُرَّامُ ثـوبي ∴ بُكْرَةً فـي يـوم سَبْتِ

فتمَـايلتُ عليهـم ∴ مثـل زنجـي بمَسْـتِ

قد حسا الدَّاذيّ صرفًا ∴ أو عقارًا با بِخَسْتِ

والمست: السكر وإدمان الشراب، والداذي: ضرب من الشراب، والعقار: الخمر، وبا يخست: موطوءة بالأقدام...، وتستمر المقطوعة على هذا النحو تختلط فيها الألفاظ العربية بالفارسية[٣].

٤-زعمه أن البدوي حسب الدين عرضًا يزول بزوال النبي-ﷺ- من خلال بعض أبيات الحطيئة، و أن الشعر الجاهلي قل فيه ذكر الله، وذكر الثواب والعقاب، لأن ذلك في نظر البدوي خرافة.

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف ص ١٢٤

(٢)البيان والتبيين للجاحظ ج١ ص ١٣٤ وما بعدها، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ، الأبيات موجودة عند الجاحظ ونقله د/ شوقي ضيف في كتابه الفن ومذاهبه في الشعر العربي .

(٣) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف ص ١٢٤

حيث يقول:« البدوي لا يبالي كثيرًا أو قليلاً بما وراء الكون، وقد حسب الدين عرضًا يزول بزوال النبي-ﷺ-، وفي هذا قال الحطيئة[١] من الطويل

أطَعْنا رَسُولَ اللهِ إذ كان بيننا ∴ فَيا ويلتي ما بالُ دِين أبى بكر

أيورثها بكرًا، إذا ماتَ بعده ∴ وتلك، لعمر الله، قاصمة الظهر

ولذلك قلَّ ذكر الله في الشعر الجاهلي، وقَلَّ من ذلك ذكر الثواب والعقاب، فهو في نظر البدوي حديث خرافة يسمعه ويبتسم ابتسامة مُرة» [٢]

مارون عبود يزعم في هذه الفقرة أن البدوي حسب الدين عرضًا يزول بزوال النبي-ﷺ- من خلال بعض أبيات الحطيئة، وهذا زعم باطل لأن من اعترض وارتد عن الدين الإسلامي في خلافة أبي بكر كان بسبب ادعاء مسيلمة الكذاب النبوة، وامتناع البعض عن دفع الزكاة، ومنهم من خرج عن الدين الإسلام كلية...، فمنهم من رجع إلى الدين الإسلامي، ومنهم من بقي على الردة فأمر بقتلهم[٣]، والحطيئة واحد ممن ارتد عن الدين الإسلامي لفترة معينة، ثم عاد إلى الإسلام[٤]، فلا يصح أن نزعم ونحكم أن البدو كلهم على شاكلة الحطيئة في حسب الدين عرضًا يزول بزوال النبي-ﷺ- لأن الدين الإسلامي هو الدين الذي شرف الله به المسلمين حيث قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴿١٩﴾ ﴾ [٥]، وكتب له البقاء إلى يوم القيامة، وحفظه من التبديل والنقص والزيادة، وحكم له

(١) الرؤوس مارون عبود ص ١٦، وما بعدها

(٢) ديوان الحطيئة ص ٦٩، الأبيات موجودة بهذا الديوان بألفاظ أخرى غير رواية التي ذكرها مارون عبود.

(٣) ينظر: عقوبة الإرتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين د/ عبدالعظيم إبراهيم المطعني ص٥٠ وما بعدها، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ج٢ ص ٩٦

(٥) سورة آل عمران أية ١٩

بالظهور على سائر الأديان ولو كره الكافرون والمشركون﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[١] ، كما أن الدين والرسالة لا ينتهيان بموت النبي حيث قال–ﷺ– « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»[٢] ولهذه الأسباب فهو زعم باطل.

وأما عن قوله:« قل ذكر الله في الشعر الجاهلي، وذكر الثواب والعقاب...» ليس هذا الزعم بصحيح بل إن– أغلب الأدباء والنقاد أشاروا إلي كثرة اصطباغ الشعر في تلك الحقبة الجاهلية بصبغة إسلامية، كثر فيه الحديث عن الله والمعاني الإسلامية، كما وجد عند شعراء الحنفاء من أمثال أمية بن الصلت والذي قال عنه النبي–«**آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ**»[٣]، ومن شعره الذي ذكر فيه الله والمعاني الدينية، قوله[٤] من البسيط

الحَمْدُ للَّهِ مُمْسَانا وَمُصْبِحُنَا ∴ بِالخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا

ربُّ الحَنِيفةِ لم تنفدْ خزائنها ∴ مملوءةً طَبَقَ الآفاقِ سلطانا

(١) سورة الصف أية ٨،٩

(٢) الموطأ، لمالك بن أنس ج٥ ص١٣٢٣ تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

(٣) ينظر: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي ج٣ ص ١٦٨، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٣٤، جمعه وحققه وشرحه د/ سجيع جميل الجبيلي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وفي موضع آخر يقول: [١] من المتقارب

لكَ الحمدُ والمنُّ ربَّ العِبادِ ∴ أنتَ المَليكُ وأنتَ الحَكَم

أمرْتَ بالإنسانِ من نطْفَةٍ ∴ تُخلَّقُ في البطنِ بعد الرّحِمْ

يتوجه أميه في هذه الأبيات بالحمد والثناء ، فهو رب العباد بيده الرزق وله الخلق والأمر، فهو المليك وهو الحكم ....، فهذه المعاني لا تخرج إلا من شخص مقر بوحدانية الله، وعدم الإشراك به.

ويقول[٢]: في موضع المغفرة والخوف من العقاب: من الرجز

إنْ تَغْفُرِ اللهمَّ تَغْفِرُ جَمّا ∴ وأيُّ عَبْدٍ لكَ لا ألَما

وقال[٣]: يذكر الجنة والنار، من الوافر

جهنَّمُ تلك لا تُبقي بَغِيّا ∴ وعَدْنٌ لا يُطالِعُها رجيمُ

إذا شبَّتْ جهنَّم ثمّ فارتْ ∴ وأعْرَضَ عن قوانِسها الجحيمُ

وغير ذلك من المعاني الدينية التي وجدت عنده، وعند غيره من شعراء الحنفاء الذين آمنوا بعقيدة التوحيد قبل أن يأتي رسول الله-ﷺ- فلم تتبدل فطرتهم، ولم تفسد عقيدتهم، فخرجوا عما كان عليه أقوامهم في الجاهلية من عادات وتقاليد ومفاسد أخلاقية وخلقية، كـ قيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعدي بن زيد، دريد بن الصمة....وغيرهم، ولم يكونوا يمثلون طائفة بعينها أو جماعة منتظمة لها أصولها فكرية أو منهجية يسيرون على دربها وعلى وتيرة ثابتة، وإنما كانوا قبائل متفرقة متفاوتين في الطبقة والأحكام لم تجمع بينهم رابطة وإنما اتفقت أفكارهم ومبادؤهم[٤].

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١١١

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١١٤

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١١٩

(٤) ينظر: الشعراء الحنفاء د/ أحمد جمال العمري ص١١٤ وما بعدها، دار المعارف الطبعة =

وكذلك في شعر النابغة الجعدي الشاعر الجاهلي المخضرم الذي جعلنا ندرك مدى تأثره بالقرآن الكريم من كثرة ذكر الله والمعاني الإسلامية المقتبسة، كقوله[١] من المنسرح

الـحَمْدُ للَّهِ لَا شَـرِيْـكَ لَـــهُ ∴ مَــنْ لِـمْ يَقُلْـهَا فَنَفْسَـهُ ظَلَمَـا

المُــولِـجِ اللّـيـلَ في النّــهــارِ ∴ وَفِى اللّيل نَـهــارا يُفرِّجُ الظُّلَـمَا

الخَافِضِ الرّافِعِ السَّمَاءَ عَلَى الْ ∴ أَرْضِ وَلَـمْ يَبْـنِ تَحْتَـهَا دِعَمَا

الخَــالِقِ البَارِئ المُصَوِّرِ في الْ ∴ أَرْحَامِ ماءً حَتَّى يَصِيرَ دَمَا

....

بل وصل الأمر إلي أن بعض الشعراء يدعو الله أن يجزي ممدوحه خير الجزاء والثواب، ومن ذلك قول الطفيل [٢] من الطويل

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَراً حِينَ أَزْلَقَتْ ∴ بنَا نَعْلُنَ في الوَاطِئين فَزَلَّتِ

ويدعوا عنترة لفرسه، بأن يجزيه الله خير الجزاء، حيث ويقول[٣] من الوافر

جزى الله الأغرَّ جَزاءَ صِدقٍ ∴ إذا ما أوقِدت نارُ الحُروبِ

يَقيــني بالجَبيــنِ ومَنكِبيــهِ ∴ وأنصُــرُهُ بمُطَّــردِ الكُعُــوبِ

=

الأولى ١٩٨١م.، وينظر: من الألفاظ الدينية في شعر أمية بن أبي الصلت دراسة دلالية للباحثة د/ حنان إبراهيم السيد أحمد ص ١٠٦٩ بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، العدد الخامس والعشرون ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

(١) ديوان النابغة الجعدي ص ١٤٧، وما بعدها، حققه وشرحه د/ واضح الصمد، دار صادر بيروت– الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٢) ديوان طفيل الغنوي ص ١٣٠

(٣) ديوان عنترة بن شداد ص ٢٢، اعتنى به وشرحه حمدُو طمّاس ، دار المعرفة بيروت لبنان– الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ومن أقول[١] عبيدة بن الأبرص، في التقرب إلى الله، من البسيط

مَنْ يَسْـأَلِ النَّـاسَ يَحْرِمُوهُ ∴ وسَـائِــلُ اللَّهِ لا يَخيـبُ
باللَّهِ يُـدْرَكُ كــلُّ خَيْرٍ، ∴ والقَوْلُ في بَعْضِـهِ تَلْغيبُ
واللهُ لَيْــسَ لَــهُ شَرِيــكٌ ∴ عَـلاّمُ مَا أَخْفَـتِ القُلُوبُ

هكذا الشعر الجاهلي لا يخلو من أبيات فيها إشارات إلى العقائد والشعائر الدينية التي كانت شائعة بين العرب في الجاهلية، وفي دواوين الشعراء الكثير من الأمثلة على ذلك، إذ نجد في ثنايا بعض القصائد ما يشير إلى شيء من النواحي الدينية[٢]، ومن ضمنها ذكر الله والثواب والعقاب ولا تدل على أنهم قالوه خرافة أو لإثبات حالة كما زعم مارون، بل قولهم يدل على تغنيهم بالعواطف الدينية، وأثر عقيدتهم في أنفسهم...، وما ذكر من أبيات يغني عن الكثير في هذا الشأن.

٤- زعمه أن قصيدة عنترة هل غادر الشعراء من متردم... [٣] بها اضطراب وضعف سياق ومخالفات لغوية

في قوله« في القصيدة اضطراب، وفيها كغيرها ضعف سياق، وفيها مثل تلك مخالفات لغوية ونحوية وفيها إلي جانب كل هذا صور طريفة، كتشبيهه ناقته واقفة في طلول عبلة بالقصر، وفيها لوعة حبّية حقيقية لا تتعدى التقاليد العربية في الحب والعشق، قد يتحاب عاشقان تحت غبار الحرب بين قبيلتيهما... »[٤]

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٢ وما بعدها، شرح/ أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(٢) ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي د/ على الجندي ص١٨٨
(٣) ديوان عنترة بن شداد ص ١١.
(٤) الرؤوس مارون عبود ص ٢٩

أين هذا الاضطراب والمخالفات اللغوية؟ كان عليه أن يأتي بدليل ليؤكد وجهة نظره في قصيدة وصفها النقاد بأن عنترة « أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر »[١] ، وقيل: وهى أجود شعره، وكانوا يسمّونها «المذهبة»[٢] أي اضطراب وأي سياق ضعيف فيها والشعراء في ذلك الوقت كانت قصائدهم تسير على نهج ووتيرة واحدة، فكان الواحد منهم يأخذ فنه بقيود ورسوم كثيرة في اللفظ والموضوع والنهج العام. ومن يرجع إلى طوال النماذج الجاهلية ويترك المقطعات القصيرة يلاحظ في وضوح أنها تأخذ نمطًا معينًا في التعبير والأداء، وكأنما العصر الجاهلي نفسه هو الذي أعدَّ " القصيدة التقليدية" فالشعراء كانوا يحرصون في كثير من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي على أسلوب موروث فيها؛ إذ نراها تبتدئ عادة بوصف الأطلال وبكاء الدِّمَن، ثم تنتقل إلى وصف رحلات الشاعر في الصحراء، وحينئذ يصف ناقته التي تملأ حسه ونفسه وصفًا دقيقًا فيه حذق ومهارة، ثم يخرج من ذلك إلى الموضوع المعين من مدح أو هجاء أو غيرهما، واستقرت تلك "الطريقة التقليدية" في الشعر العربي، وثبتت أصولها في مطولاته الكبرى على مر العصور. [٣] ومن أراد أن يرجع إلي القصيدة وينظر ما فيها من قوة لغوية وحبكة فنية في السياق وصور بلاغية عليه أن يقرأ شرح المعلقة في كتاب « شرح القصائد العشر للتبريزي »[٤]

ومن جانب آخر نجده يغطي على زعمه ويثبت للقصيدة الصورة الطريفة حيث يقول« وفيها إلي جانب كل هذا صور طريفة، كتشبيهه ناقته واقفة في

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ج١ ص٩١ ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف ص١٨

(٤) ينظر: ص ١٧٧

طلول عبلة بالقصر، وفيها لوعة حبّية حقيقية لا تتعدى التقاليد العربية في الحب والعشق، قد يتحاب عاشقان تحت غبار الحرب بين قبيلتيهما....» [1]، فهذا الكلام ينافي ما قبله قصيدة فيها اضطراب وضعف سياق، وفي نفس الوقت فيها صور طريفة، ويأتي ببعض الصور كما قال، وفي الرأي الأول يكتفي بالكلام بدون دليل، فهذا اضطراب في الرأي وعدم ثقة في الحديث، ولكن في العموم من يقرأ المعلقة يلمس شعورًا وإحساسًا رائعين تختفي وراءهما شخصية هذا الشاعر والبطل الفذ والفرس المحنك، حيث نظم معلقته في أسلوب قوي مليء بالصور الدقيقة والأساليب الجديدة المبتكرة أضف إلي ذلك قوة ألفاظه وتماسك معانيه وترابط أفكاره.

(١) الرؤوس مارون عبود ص ٢٩

الخاتمة

الحمد لله الذي توالت آلاؤه، وعُرفت نعماؤه، واسع الفيض، كثير الفتح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد(ﷺ) ، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين ... وبعد

فقد حاولت في هذه الدراسة الكشف عن مزاعم مارون عبود في كتابه الرؤوس، في محاولة متواضعة لتكون إضافة في مجال النقد التحليلي، ونتج عن ذلك الآتي:

أولًا: أثبتت الدراسة مكانة العرب على غيرهم من الأمم في الأخلاق والعادات والثقافات، وفي الفصاحة والبلاغة...، وبديهي أن يكون بينهم غير ذلك فهي طبيعة الكون، وليس الكل كما يزعم مارون عبود في المواضع التي تم ذكرها.

ثانيًا: أثبتت الدراسة أن مجمل آراء مارون عبود لا تصدر عن رؤية علمية راشدة تستهدي بالبحث ومناهجه القويمة، وتأخذ بأسباب التحقق والنظر المتأني، بل إن جلها يصدر عن هوى، وتخبط عشوائي[١]، فليس كل العرب بهذه الصورة التي صدرها مارون عبود عنهم سواء في حياتهم وعاداتهم وسلوكهم، ولا حتى في شعرهم

ثالثًا: أثبتت الدراسة بطلان زعم مارون عبود لطبيعة الحياة العربية من خلال بعض أبيات طَرَفَة، تحدث فيها عن نهاية الإنسان، والحقيقة أنَّ هذه الأبيات قيلت في ظروف معينة، وعليه فلا يصح أن نحكم من خلالها على حياة مجتمع كامل كالمجتمع العربي أو البدوي.

(١) ينظر: فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، محمد صالح الشنطي ص ٢٥٩، دار الأندلس للنشر والتوزيع – السعودية / حائل الطبعة : الخامسة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

رابعًا: زعم مارون عبود عن أصل العربي وفصله، بغرض إنقاص قدرهم وتصغير شأنهم، وترديد أفكار الشعوبيين الذين يريدون إدخال عقائد وأفكار دينية بعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي، وتزييف وتحريف الأحاديث النبوية، ومحاربة العرب في كل شيء في قيمهم، وفي أنسابهم....

خامسًا: أثبتت الدراسة زعمه للعربي بالسطحية وعدم اتقانه للأعمال، وضعف تفكيره وقلة صبره، والحكم على الأمور بدون برهان...، وهي أحكام عامة لا تستند على أي دليل، والحقائق الموجودة في كتب الأدباء والنقاد ودواوين الشعراء تثبت غير ذلك.

سادسًا: أثبتت الدراسة بطلان تعدد مزاعم مارون عبود حول المرأة العربية سواء من ناحية الحجاب، أو وأد البنات، أو عدم اهتمام الشعراء بها، وهي مزاعم تبين عدم صدقها من خلال رصد جوانبها من المصادر التي تناولتها.

سابعًا: أثبتت الدراسة بطلان مزاعم مارون عبود حول الشعر الجاهلي من عمد تطويره فجاء الخيال فيه سطحيًا، وأن قصيدة واحدة تغني عن الشعر الجاهلي كله، ولا يختلف عن الأموي والعباسي، وهي مزاعم تم الرد عليها وثبت عكسها من خلال آراء النقاد والأدباء والدواوين الشعرية ...وغير ذلك.

ثامنًا: بطلان زعمه أن الشعر الجاهلي قل فيه ذكر الله والثواب، لأن ذلك في نظرهم خرافة، حيث إن الشعراء أثبتوا غير ذلك فقد ظهر تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث، واصطباغ شعرهم بالطابع الإسلامي لإضافة معان جديدة، كثر فيها الحديث عن الثواب والعقاب... وغير ذلك.

تاسعًا: زعمه أن معلقة عنترة هل غادر الشعراء من متردم.... بها اضطراب وضعف سياق ومخالفات لغوية، وهو زعم مخالف لما وصفها النقاد والأدباء بها فهي المذهبة، وأتي فيها بما لم يسبقه متقدم ، ولا نازعه إياه متأخر.

التوصيات: مراجعة كتب الأدباء والنقاد، والبحث فيها عن مزاعم أصحابها وخاصة كتب مارون عبود، والرد على كل زعم فيها بالأدلة والبراهين، والحجج...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، جل شأنه

المصادر:

- الرؤوس مارون عبود، منشورات دار المكشوف ١٩٤٦م.

المراجع:

١- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي ، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٢- الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا د/ عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

٣- الأدب الجاهلي قضاياه، وأغراضه، وأعلامه، فنونه د/ غازي طليمات، والأستاذ/ عرفان الأشقر، دار الإرشاد بحمص، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤- أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ بيروت١٩٨١م.

٥- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم) بطرس البُستاني، دار نظير عبود سنة ١٩٨٩م.

٦- الأساطير العربية قبل الإسلام د/ محمد عبد المعيد خان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧م.

٧- أشعار الشعراء الستة الجاهليين للشنتمري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨- الأصمعيات اختيار الأصمعي للأصمعي، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م

٩- أصول البحث الأدبي ومصادره ، تأليف/مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية. بدون
١٠- الأعلام للزركلي ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م،
١١- أمالي المرتضى، للشريف المرتضى ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م
١٢- الإمتاع والمؤانسة، لأبو حيان التوحيدي،المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ
١٣- الأمثال للبغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) ،تحقيق د/ عبد المجيد قطامش الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
١٤- الأوائل لأبو هلال العسكري، دار البشير، طنطا الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ
١٥- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، عنى بشرحه وتصيحه وضبطه/ محمد بهجة الأثري- دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون
١٦- البيان والتبيين للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣هـ
١٧- تاريخ الأدب العربي د/ شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.
١٨- تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة بدون
١٩- تاريخ العرب قبل الإسلام د/ محمد سهيل طقوش ، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٢٠- التطور والتجديد في الشعر الأموي د/ شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة ١٩٨٧م.

٢١- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ
٢٢- تفسير القرآن للسمعاني ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
٢٣- التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي ، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ
٢٤- ثقافة العرب في الجاهلية، مهند محمد عميره ، دار المعارف سنة ٢٠١٩م.
٢٥- الجامع في تاريخ الأدب العربي/ حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م
٢٦- الحِجَاب في الشرع والفطرة بين الدليل، والقول الدخيل، عبد العزيز بن مرزوق الطَّرِيفِي، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٢٧- الحصين بن الحمام المرّي الفارس الشاعر (سيرته وشعره)، جمع وتحقيق د/ شريف علاونة، دار المناهج، الأردن سنة ٢٠٠٢م.
٢٨- ديوان الأخطل ، شرحه صنفه مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٢٩- ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق د/ محمود إبراهيم محمد الرضواني ، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٣٠- ديوان الإمام علي بن أبي طالب.، اعتنى به/ عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣١- ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه حَمْدُو طمّاس ، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٢- ديوان النابغة الجعدي ، حققه وشرحه د/ واضح الصمد، دار صادر بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٣٣- ديوان النابغة الذبياني ص ٧٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية بدون
٣٤- ديوان امرئ القيس ، صححه وضبطه أ/ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م
٣٥- ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمع وتحقيق ودراسة د/ عبد الحفيظ السطلي، درة الغواص دمشق سنة ١٩٧٤م.
٣٦- ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمعه وحققه وشرحه د/ سجيع جميل الجبيلي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٣٧- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه- دار المعارف، القاهرة – مصر- الطبعة: الثالثة بدون.
٣٨- ديوان جميل بثينة ، دار صادر بيروت بدون
٣٩- ديوان دريد بن الصمة الحبشي ، قدم له د/ شاكر الفحام ، جمع وتحقيق وشرح/ محمد خير البقاعي – دار قتيبة سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٤٠- ديوان زهير بن أبي سلمى ، اعتنى به وشرحه حَمْدُو طمّاس ، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٤١- ديوان زهير بن جناب الكلبي د/ محمد شفيق البيطار ، دار صادر بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٤٢- ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به/ عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٤٣- ديوان طرفة بن العبد البكري ، شرح الأديب يوسف الاعلم الشنتمري، طبع في مدينة شالون علي نهر سَوْن بمطبع برطرند سنة ١٩٠٠م،
٤٤- ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م

٤٥- ديوان عبيد بن الأبرص شرح/ أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٤٦- ديوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه/ محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع- بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م
٤٧- ديوان عَلقمَة بن عَبَدَة ، شرح/ سعيد نسيب مكارم، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٤٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ فايز محمد، دار الكتاب العربي- الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٤٩- ديوان عنترة بن شداد ، اعتنى به وشرحه حمدُو طمّاس ، دار المعرفة بيروت لبنان- الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٥٠- ديوان كُثَيِّر عَزَّة ، جمعه وشرحه د/ إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان سنه ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٥١- ديوان مهلهل بن ربيعة ، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية بدون
٥٢- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م،
٥٣- شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م
٥٤- شرح ديوان الحماسة، للأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٥٥- شرح ديوان حسان بن ثابت ، ضبطه وشرحه/ عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٥٦- شعر الحرب في العصر الجاهلي د/ على الجندي ، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

٥٧- شعر الشنفري الأزدي ، تحقيق ودراسة أحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٥٨- شعر الفند الزماني ، د/ حاتم صالح الضامن فرزة من: مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
٥٩- شعر خُفاف بن نُدبة السُّلمى، جمعه وحققه د/ نورى حمودى القيسى، مطبعة المعارف- بغداد ١٩٦٧م.
٦٠- شعر خلف بن خليفة ، د/ خليل محمد عبدالعال- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٨م.
٦١- شعر قيس بن زهير عادل جاسم البياق ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف سنة ١٩٧٢م.
٦٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، سنة: ١٤٢٣هـ.
٦٣- الشعراء الحنفاء د/ أحمد جمال العمري ، دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٦٤- الشعوبية نشأتها وتطورها(دراسة تاريخية) سالم محمد كريم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ/ ٢٠٠٤م.
٦٥- الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، واضح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
٦٦- الطبيعة في الشعر الجاهلي د/ نوري حمودي القيسيى ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٦٧- العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩٦٠م.

٦٨- عقوبة الإرتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين د/ عبدالعظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٦٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
٧٠- فجر الإسلام، أحمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م.
٧١- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د/ شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الحادية عشرة، سنة ١٩٦٠م.
٧٢- في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ، مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول١٤١٢هـ - ١٩٩١م
٧٣- القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م
٧٤- قصة الأدب في الحجاز تأليف: عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية بدون
٧٥- كتاب الأغاني للأصفهاني ، تحقيق د/ إحسان عباس وآخرين، دار الكتب بدون
٧٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ،لأبي شيبة، (المتوفى: ٢٣٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
٧٧- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٧٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت١٤٢٠ هـ.

٧٩- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٨٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٨١- المرأة في الشعر الجاهلي د/ أحمد محمد الحوفى ، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٩٦٣م.

٨٢- المرأة في الشعر الجاهلي د/ على الهاشمي ، مطبعة المعارف- بغداد سنة ١٩٦٠م.

٨٣- المرشد إلي فهم أشعار العرب، تأليف عبدالله الطيب المجذوب، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م

٨٤- المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٨٥- مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد ، دار المعارف بمصر، الطبعة: الطبعة السابعة ١٩٨٨م.

٨٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٨٧- المعجم الأوسط، لأبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة بدون
٨٨- معجم البلدان، للحموي ، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م،
٨٩- معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٩٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٩١- المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة بدون
٩٢- من بلاغة القرآن/ أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) ، نهضه مصر – القاهرة سنة ٢٠٠٥
٩٣- الموت في الشعر الجاهلي د/ حسن أحمد عبد الحميد عبدالسلام، مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م
٩٤- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٩٥- الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
٩٦- النظرات مصطفى لطفي المَنْفَلُوطي ، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

المجلات والبحوث:

١- بحث بعنوان« مزاعم مارون عبود حول القرآن الكريم في كتاب أدب العرب دراسة تحليلية نقدية » للدكتور/ الحسن عبداللطيف اللاوي حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الأول من إصدار يونيه سنة ٢٠٢٤م.

٢- مجلة المورد مقال بعنوان(الحِلْمُ في الشعر الجاهلي) د/ عبد الرازق خليفة محمود الدليمي، العدد رقم ٤- ٣، العراق١ يوليو ٢٠٠٤م

٣- مجلة الرسالة مقال « الأدب والفن في أسبوع » عباس خضر، العدد (٧٠٩) الصادر بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٩٤٧م.، ومقال بعنوان« زوبعة الدهور: تأليف مارون عبود» ، العدد (٦٢٧) الصادر بتاريخ ٩ يوليو سنة ١٩٤٥م.

٤- من الألفاظ الدينية في شعر أمية بن أبي الصلت دراسة دلالية للباحثة د/ حنان إبراهيم السيد أحمد بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، العدد الخامس والعشرون ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥١٧
٢-	Abstract	٥١٨
٣-	المقدمة	٥١٩
٤-	التمهيد: ويشتمل على شقين	٥٢٢
٥-	الشق الأول: العرب	٥٢٣
٦-	الشق الثاني: مارون عبود في سطور	٥٢٥
٧-	المبحث الأول: مزاعم مارون عبود حول طبيعة الحياة البدوية	٥٢٦
٨-	المبحث الثاني: مزاعم مارون عبود حول المرأة العربية.	٥٤٩
٩-	المبحث الثالث: مزاعم مارون عبود حول الشعر العربي.	٥٦٢
١٠-	الخاتمة	٥٨٤
١١-	قائمة المصادر والمراجع	٥٨٦
١٢-	فهرس الموضوعات	٥٩٦